القراءات الشاذة في غاية النهاية لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)
دراسة صوتية وصرفية

إعداد

د/ سعيد عبد المحسن أبو غزالة

مدرس أصول اللغة بكلية اللغة العربية بالقاهرة

١٤٤٢هـ = ٢٠٢٠م

القراءات الشاذة عند ابن الجزري في غاية النهاية دراسة صوتية وصرفية في ضوء معطيات علم اللغة الحديث

سعيد عبد المحسن عبد السيد ابو غزالة
قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر
البريد الاليكتروني:
hatemabosaida.lan@azhar.edu.eg

ملخص البحث

يحاول البحث جمع القراءات الشـــاذة في كتاب غاية النهاية لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـــ) ودراستها دراسة صوتية وصرفية في ضوء معطيات علم اللغة الحديث، مبينا أسباب إيراد هذه القراءات في تراجم القراء ومبرزا لجهود ابن الجزري في القراءات الشاذة مع إذعان الجميع له بالريادة في القراءات المتواترة.

الكلمات المفتاحية: القراءات الشاذة – ابن الجزري – علم اللغة – دراسة صوتية

This study addressed the anomalous readings In the, Ibn Al-Jazari has an acoustic and morphological study in light of modern linguistics

Saeed Abdul Mohsen Abdul Sayed Abu Ghazaleh
Department of Language Origins, Faculty of Arabic Language in Cairo, Al-Azhar University, Egypt.
Emaile : hatemabosaida.lan@azhar.edu.eg

Abstract:

The research attempts to collect the anomalous readings in the book Ghayat Al-Nihaya by Ibn Al-Jazri (d.833 AH) And its study is a phonemic and morphological study in the light of modern linguistics data ; Explaining the reasons for including these readings in the biographies of the readers, highlighting the efforts of Ibn Al-Jazari in the abnormal readings, with everyone acquiescing in him to lead in the frequent readings.

Key words: the anomalous readings- Ibn Al-Jazri - Linguistics - An audio study

المقدمة

حمدًا لله ذي الجلال، وصلاة وسلامًا تامّينِ دائمين علىٰ من أُنزل عليه القرآن، تبصرة وذكرىٰ لأولي الألباب، أما بعد،

فلا يمكن لباحث في علم القراءات إلا أن يجعل كتاب: "غاية النهاية في طبقات القراء" -لشيخ القراء وعمدة المحققين في زمانه الإمام الحافظ ابن الجزري (٧٥١ -٨٣٣هـ)- أحدَ مصادره؛ إذ إنه أكبر معجمٍ وصلنا عن تراجم القراء، فهو يحوي ما يقارب أربعة آلاف ترجمة، استقاها من كتاب: طبقات القراء وأخبارهم، لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ)، ومعرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار، للحافظ الذهبي (٧٤٨هـ)، إذِ استوعبهما، وزاد علىٰ ما فيهما نحو الضعف[1].

ولئن كان كتاب "غاية النهاية" في تراجم القراء -أصالةً- إلا أنه حوىٰ كنوزًا علمية تدل علىٰ سعة باع مؤلفه في العلوم، ومن تلك الكنوز ما ضمنه صاحبه من القراءات الشاذة، ولم يتعرض أحدٌ -فيما أعلم- لدراسة القراءات الشاذة التي وردت فيه دراسة لغوية، وإن كان هناك بحث قام باستخراجها وجمعها، عنوانه: "فهرس القراءات الشاذة في كتاب غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، للباحث الدكتور عبد العزيز بن حميد الجهني الأستاذ المساعد بكلية المعلمين بجدة. في ١٥/ ٧/ ١٤٢٨هـ، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد التاسع -العدد

(١) ينظر: إعلام أهل البصائر بما أورده ابن الجزريّ من العلوم والذخائر، لـ أ.د عمر عبد الغني يوسف حمدان، وهو بحث نشر في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد الخامس جمادىٰ الآخرة ١٤٢٩هـ.

الثاني، ربيع الآخر -جمادىٰ الآخرة ١٤٢٨هـ. ومن هنا يمّمت وجهي صوب كتاب "غاية النهاية" لدراسة ما ورد فيه من قراءات شاذة من الناحيتين الصوتية والصرفية، ولعل الله يمهل في الأجل، ويسمح في العمل لبحث الناحيتين التركيبية والدلالية؛ لتكتمل دائرة الدراسة اللغوية.

ولم تحظ القراءات الشاذة علىٰ العموم -في تتبع ظواهرها اللغوية- بمثل القدر الذي حظيت به المتواترة عنايةً ودرسًا، فلا يزال حقل الدراسات اللغوية التي تتعلق بالقراءات الشاذة يحتاج إلىٰ من يثيره تقليبًا ودرسًا، واستنباطًا وفَهمًا-لاستظهار ما فيها من ظواهر وشواهد تثري الدرس اللغوي، وتستنبط ما ضمنته من دلالات لغوية وتفسيرية عالية، إذ إنّ "توجيه القراءة الشاذة أقوىٰ في الصناعة من توجيه المشهورة، ومن أحسن ما وضع فيه كتاب "المحتسب" لأبي الفتح؛ إلا أنه لم يستوفِ.."[1].

وقد اقتضت طبيعة البحث أن ينهض علىٰ مقدمة تضمنت أهمية الموضوع، واشتملت علىٰ تعريف موجز بـ"غاية النهاية"، وسبب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، والخطة التي يقوم عليها، ومنهج البحث، ثم انتظم البحث ثلاثة محاور: الأول: الدراسة التنظيرية: القراءات الشاذة، تعريفها لغةً واصطلاحًا، ضابط القراءة الشاذة، حكم القراءة بالشاذ، الاحتجاج بالقراءات المتواترة والشاذة في اللغة، آثار ابن الجزري والقراءات الشاذة، مظان القراءات الشاذة في آثار ابن الجزري،

(١) لسان العرب (ش ذ ذ).

ثم جاء المحور الثاني: الدراسة التطبيقية: القراءات الشاذة في غاية النهاية دراسة صوتية وصرفية، وبدأ البحث بالدراسة الصوتية، ثم ثنّىٰ بالدراسة الصرفية، ثم خلُص إلىٰ أهم النتائج، ثم ثبت بأهم المصادر والمراجع. والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.

سعيد عبد المحسن عبد السيد أبو غزالة

مدرس أصول اللغة بكلية اللغة العربية بالقاهرة

المحور الأول: الدراسة النظرية

تعريف "الشاذ" في اللغة والاصطلاح:

الشَّاذُّ لغةً: مصدر الفعل شَذّ يشُذُّ ويشِذُّ شَذًّا وشُذُوذًا: انفرد عن الجمهور، وندر، فهو شاذٌّ، يقال: شَذَّ الرجلُ إذا انفرد عن أصحابه، والشاذُّ: المتنحّي[1]، وأشذَّه غيره: إذا نحّاه وأقصاه[2]، و"الشين والذال أصلٌ يدلُّ علىٰ الانفراد والمفارقة"، يقال: شذّ الرجل: إذا انفرد عن أصحابه، وكذلك كلُّ شيءٍ منفرد فهو شاذٌّ[3]، وبِتتبُّعِ مواردِ الكلمة في المعاجم وُجِد أن معناها يدورُ حول: التّفرُّدِ، والتفرقِ، والوَحدةِ، والنُّدرةِ، والتنحّي، والمخالفةِ، والقلةِ، والخروج علىٰ القاعدة والأصول. وذهب ابن جنّي(ت٣٩٢هـ) إلىٰ أن الشاذَّ في اللغة هو ضدُّ المطّرد؛ إذِ المطردُ من الكلام هو المستمرُّ المتتابعُ في الإعرابِ وغيره، والشاذُّ منه هو ما فارق بابه وانفرد عنه[4].

أما تعريف القراءة الشاذة اصطلاحًا فليس هناك تعريف محدد لها، وإنما هي عند القراءِ التي تقابلُ القراءةَ المتواترةَ، وشُذوذُ القراءةِ يُرادُ به ما بَقِيَ من القراءات وراءَ مِقياسِ ابنِ الجزريّ، حيثُ قالَ – بعد ذكر ضوابط ثلاثة للقراءة المتواترة –من صحة سندٍ، وموافقةٍ لرسم المصحف العثماني، وموافقة وجهٍ في العربية–: "ومتىٰ اختلَّ ركنٌ من

---

(١) لسان العرب (ش ذ ذ).

(٢) تاج العروس للزبيدي (ش ذ ذ).

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية (ش ذ ذ)، مقاييس اللغة باب الشين والذال، القاموس المحيط باب الذال فصل الشين.

(٤) ينظر: الخصائص١/ ٩٧.

هذه الأركان الثلاثة، أُطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعةِ، أو عمن هو أكبر منهم[١]"، وحدّها بأنها: كلُّ قراءة وافقت العربيةَ ولو بوجهٍ ووافقتْ أحدَ المصاحفِ العثمانيةِ ولو احْتمالا ولم يتواترْ سندُها[٢]، ولعل السِّرَّ في وسمِها بالشاذة يعودُ إلىٰ أنها شذّت عن الطريق الذي نُقل به القرآن حيث نُقل بجميع حروفه متواترًا.

فمتىٰ فقدتِ القراءة أحدَ الأركان الثلاثة الضابطة، فهي شاذة ويُحكَم بعدم قرآنيتها، ولا تُعَدُّ قرآنا[٣]، وإن نُسِبت إلىٰ مَن نُسِبت إليه، فـ"لا ينبغي أن يُغترّ بكل قراءة تُعزَىٰ إلىٰ أحد السبعة ويُطلَق عليها لفظُ الصحة وأنها أُنزلت هكذا، إلا إذا أُدخلت في ذلك الضابط، الذي علىٰ أساسه قسمت القراءات إلىٰ صحيحة وشاذة، وحينئذ لا ينفردُ بنقلها مصنَّفٌ عن غيره، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإن الاعتماد علىٰ استجماع تلك الأوصاف (صحة السند، وموافقة الرسم، وموافقة وجه من العربية) لا علىٰ من تنسب إليه[٤]".

والعلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي أن القراءة الشاذّة مخالفةٌ للمتواترة سندًا أو رسمًا، ثم إن رواتها بعد استقرار أمرها – بالنسبة إلىٰ رواة المتواترة– يُعَدّون قِلّة، وذلك بعد التضييق علىٰ رواتها،

---

(١) النشر ١/ ٩.

(٢) السابق نفسه.

(٣) مقدمات في علم القراءات مقدمات في علم القراءات ص٧٢.

(٤) ذكره السيوطي، ونسبه إلىٰ أبي شامة، ينظر: الإتقان ١/ ٢٥٩.

ولهذا توصف بالنُّدرة، ثم إن المنعَ من قراءتها -لغير التعريفِ بها، والإفادةِ منها لُغويًّا- جعلها مفارقةً للقرآنِ متنحيةً عنه مُنفردةً.

وأما السبيلُ إلىٰ معرفة القراءة الشاذة فيَكمُن في الرجوع إلىٰ الكتب المؤلفة في القراءات السبع أو العشر المتواترة فإن ما سواهما شاذٌّ، أو يكون ذلك بالرجوع إلىٰ المؤلفات في الشواذ، أو بمراجعة كتب التفسير التي تعنىٰ بذكر الشواذ كتفسير الطبري (ت٣١٠هـ)، والزمخشري (ت٥٣٨هـ) وابن عطية (ت٥٤٢هـ)، وأبي حيان(ت٧٤٥هـ) وغيرهم، وأفضل وسيلة لذلك هو تلقيها من أفواه المشايخ الضابطين، إذ إنهم بذلك ألصقُ وأكثرُ دُرْبَةً ومُمارسة[1].

ضابط القراءة الشاذة:

أجمع العلماءُ علىٰ تواتُر القراءات السبعة، لكنهم اختلفوا فيما عداها، وقد مر مصطلح الشذوذ بمراحل إلىٰ أن أصبح: ما خالف القراءات العشر التي اتفقت كلمة الأثبات علىٰ تواترها، ذكر ذلك ابن الجزري إذ قال: "فالذي وصل إلينا متواترًا وصحيحًا مقطوعًا به قراءات الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين، هذا الذي تحرر من أقوال العلماء، وعليه الناس اليوم"[2].

حكم القراءة بالشاذ:

الجمهورُ من أهل العلم علىٰ حُرمة القراءة بها إن قصد القارئ أنها

---

(١) القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية ١/ ٦٤ بتصرف، وقد ذكر ذلك نقلا عن: القراءات أحكامها ومصادرها ص١٠٣، ١٠٤، مقدمات في علم القراءات ص٧٦.

(٢) النشر: ١/ ٧١.

من القرآن أو أَوهم السامع ذلك، أما إن قصد التنبيهَ علىٰ شُذوذِها وأنها ليست قرآنًا، وإنما تُروىٰ للاحتجاج بها في الأحكام والفقه – عند من يرىٰ جواز ذلك – أو اللغة والنحو، أو للعلم بها، فلا بأس في ذلك ولا حرج، وهي من جملة العلوم المنقولة والمتداولة، فهي لا تُعَدُّ قرآنًا، ولا يجوز اعتقادُ قرآنيتها، ولذلك لا تجوز قراءتها في الصلاة أو في خارجها، ولكن يجوز تعلّمُها وتعليمها وتدوينها في الكتب وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب(١).

قال يُوسف زادة: "وأما ما فوق العشرة فقد أجمع العلماء علىٰ أنها شاذة، والذي استقرت عليه المذاهب وآراء العلماء فيها أن أحدًا إن قرأ بها غيرَ معتقدٍ أنها قرآنٌ ولا مُوهِمٌ أحدًا ذلك= بل قرأ بها علىٰ طريق الرواية غير مُتجاهر بها في محافل المسلمين، ومجامع المؤمنين، ومجالس الإقراء من الجوامع والمساجد، لما فيها من الأحكام الشرعية عند من يحتج بها، والأحكام الأدبية= فلا كلام في جوازه وعلىٰ هذا يحمل حال من حكي عنه أنه قرأ بها من المتقدمين، وهو أقل قليل، ولذلك يجوز تدوينها في الكتب لا للقراءة بها"(٢)؛ ففقدُها لأحد عناصر الصّحة والسلامة لا يُبعدِها في الإفادة منها عن القراءات المتواترة، بل كانت رافدًا من روافد علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة، والسؤال الذي

---

(١) ينظر: المرشد الوجيز ص١٨١، القراءات الشاذة وتوجيهها في لغة العرب ص١٠.

(٢) رسالة في حكم القراءة بالقراءات الشواذ لـ يوسف أفندي زادة (٨٥٧هـ) تح جمال الدين محمد شرف ط١-١٤٣١هـ-٢٠١٠م، دار الصحابة للدراسات القرآنية والعربية. ينظر: أسباب وجود القراءات الشاذة ص٢١، ٢٢.

يفرض نفسه الآن: إذا كان الفقهاء احتجوا بها – علىٰ خلافٍ بينهم – فهل كان موقف اللغويين مماثلًا لموقف القراء تجاه القراءات الشاذة أم مختلفًا عنهم؟

الاحتجاج بالقراءات المتواترة والشاذة في اللغة:

أئمة اللغة والنحو يكادون يُجمِعون علىٰ جعلِها مصدرًا من مصادرِ احتجاجهم، وأسسوا قواعد العربية علىٰ ما جاء فيها، ولا عجب، فرواتها عربٌ فصحاء، ومن أئمةِ القراءِ أئمةٌ في اللغة والنحو، وكثير منهم يتميز بالضبط والدقة في النقل، وبعضهم أعلىٰ رتبة من بعض النحاة، والقراءاتُ – متواترةً وشاذَّةً – تُمثِّلُ سِجِلًّا حافِلاً باللهجات العربية المختلفة، ومن ثم بُذلت الجهود لتوجيهها وتخريجها نحويًّا ولغويًّا، وكان شيخُ النّحاة سيبويه "لا يُفرِّقُ في الاستشهاد والاحتجاج بين متواتر القراءات وشاذِّها...فلقد كان يتعامل مع القراءات علىٰ أنها نصٌّ عربيٌّ مُوَثّقٌ"(١).

ولا يزال الاحتفاءُ بالقراءات أمرًا مشهودًا في كتب اللغة والنحو، وبِنظرةٍ يسيرةٍ إلىٰ كتب النحاة واللغويين يتبين أن القراءاتِ متواترَها وشاذَّها كانت حجة عند أغلبهم حتىٰ النزر اليسير الذي أنكرها كان ذلك الإنكار لقيام مانع عنده، أما مع عدم المانع فالقراءة الشاذة عند الجميع حجة، يسير الاهتمام بها مع المتواترة جنبًا إلىٰ جنبٍ، ولذلك يقول السيوطي: "وقد أطبق الناس علىٰ الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسًا معروفًا، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك

(١) مواقف النحاة من القراءات القرآنية ص ١١٧.

الحرف بعينه وإن لم يَجُزِ القياس عليه، كما يحتج بالمجمَع علىٰ وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ولا يُقاس عليه، وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءات الشاذة لا أعلم فيه خلافًا بين النحاة"[١]، فـ"القرآن حجة في العربية بقراءاته المتواترة وغير المتواترة، كما هو حجة في الشريعة.

إنّ القراءةَ الشاذّةَ – التي فقدت شرط التواتر – لا تقلّ شأنًا عن أوثق ما نُقِل إلينا من ألفاظ اللغة وأساليبها، وقد أجمع العلماء علىٰ أن نقل اللغة يكتفىٰ فيه برواية الآحاد"[٢]، بل كان للقراءات أثر واضح في تقعيد القواعد، وتدوين الأصول، وتثبيت القواعد التي أُصِّلت نحوية وصرفية ولغوية، ولهذا كان ابن جني علىٰ حقّ عندما وثّق الشاذّ واحتج له مخبرًا أنه ثابتٌ راسخٌ محفوف بأمارات الضبط والقبول؛ فذكر أن من القراءات ضربًا "سماه أهل زماننا شاذًّا، أي خارجًا عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلىٰ قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثير منه، مُساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم، وربما كان فيه ما تلطف صنعته، وتعنُّف – يعذله ويلومه – بغيره فصاحته، وتمطوه – أي تمده – قوىٰ أسبابه، وتَرسُو به قَدَمُ إِعرابه[٣]". فهذه الأقوال –وغيرها– تؤكد منزلة القراءات الشاذة لدىٰ علماء اللغة واحتفاءهم بها، وأن الوصف بالشذوذ لا يقتضي الضعف في الشاذ

(١) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص٤٠.
(٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم محمد عضيمة ١/ ٢.
(٣) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني١/ ٣٣،٣٢.

جميعه، وإنما يقضي بمنع القراءة بها، ومن ثم وجدنا كثيرًا من النحاة واللغويين قد أَوقَفوا أنفسهم في جمع القراءات الشاذة وتوجيهها، أمثال ابن خالويه (٣٧٠هـ)، والفارسي (ت٣٧٧هـ)، وابن جني (٣٩٢هـ) الذي كان محتسبه من أقوىٰ المؤلفات في الدفاع عن القراءات الشاذة، وتصديه لكل من يهوّن منها- ومكي (٤٣٧هـ)، والعكبري (ت٦١٦هـ)[١].

-آثار ابن الجزري والقراءات الشاذة:

ألّف ابن الجزري كتبًا كثيرة -في القراءات وفي غيرها من العلوم- كتب الله لها النفع والقبول، ملأت الآفاق بشهرتها، وأفاد العلماء منها منذ عصره إلىٰ يومنا هذا، جمعها بعضهم في سبعة وثمانين مؤلَّفًا[٢]، وزادها بعضهم إلىٰ أربعة وتسعين مؤلَّفًا[٣]. ومن مؤلفاته في القراءات: "النشر في القراءات العشر"، قال عنه السيوطي: "لم يصنف مثله"[٤]، و"تحبير التيسير في القراءات العشر"، و"غاية النهاية في طبقات القراء، ويسمىٰ أيضًا "غاية النهاية في أسماء رجال القراءات"، و"الاهتداء في الوقف والابتداء"، و"طيبة النشر"، و"الدرة المضية في قراءات الأئمة الثلاثة المرضية"، و"المقدمة فيما يجب علىٰ قارئ القرآن أن يعلمه"، و"منجد المقرئين ومرشد الطالبين". وكان للقراءات الشاذة في تراث ابن الجزري حضور ليس بالقليل، حيث نظَم ثلاث منظومات فيها، هي:

---

(١) أثر القرآن والقراءات في النحو العربي لـ محمد سمير اللبدي ص٣٧٥.

(٢) ينظر: شيخ القراء ابن الجزري، د. محمد مطيع الحافظ ص٣٥.

(٣) منهج ابن الجزري في كتابه النشر مع تحقيق قسم الأصول، د. السالم محمد الشنقيطي ص٧٤، ٧٥.

(٤) طبقات الحفاظ ص٥٤٤.

١-"إعانة المهرة فِي الزِّيَادَة علىٰ العشْرَة"[١]

٢-"التذكار في قراءة أبان بن يزيد العطار[٢]. عن عاصم بن أبي النجود"[٣] دراسة وتحقيق وتعليق د. الشريف ولد أحمد محمود.

٣-"نهاية البررة في قراءات الأئمة الثلاث الزائدة علىٰ العشرة"، وهو نظم يقع في ٤٥٤ بيتًا، نظم فيه قراءات الأئمة: ابن محيصن، والأعمش، والحسن البصري.[٤]

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٩/ ٢٥٧.

(٢) أبان بن يزيد العطار الحافظ الإمام، أبو يزيد البصري، من كبار علماء الحديث، روىٰ عن الحسن البصري وأبي عمران الجوني ..، وحدث عنه أبو داود ومسلم بن إبراهيم..، قرأ علىٰ عاصم، وروىٰ الحروف عن قتادة بن دعامة، وتوفي سنة بضع وستين ومائة تقريبًا. ينظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٩٨، وغاية النهاية ٢/ ٣١٦.

(٣) ورواية أبان بن يزيد العطار كانت تنقل من خلال الإقراء، وصنف فيها قبل ابن الجزري أبو محمد بن غالب الفارسي، وقال ابن الجزري في ترجمة موسىٰ بن أحمد بن إسحق الشهبي: "وقد أفرد قراءة عاصم من رواية أبان العطار لأجل التجويد والتحقيق ختمة، وقصيده "التذكار في رواية أبان العطار" أقرأ بها ابن الجزري تلميذه مؤمن بن علي ..مات شهيدًا بالطاعون ٧٨٤هـ.ينظر: غاية النهاية ٢/ ٣٢٤.

(٤) طبع هذا النظم في كتاب "مجموعة مهمة في التجويد والقراءات والرسم وعد الآي تحقيق جمال السيد رفاعي"، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

مظان القراءات الشاذة في آثار ابن الجزري:

يمكننا ذكر مظان القراءات الشاذة في آثار ابن الجزري على النحو الآتي:

١-المنظومات السابقة التي خصصها للقراءات الشاذة.

٢-كتابه الجامع النشر في القراءات العشر، إذ حوىٰ:

أ. **انفرادات عن طرق رواة القراء العشر**، والتي وصلت في كتاب النشر إلىٰ ما يقرب من ٣٥٠ انفرادة، وجُلُّها لا يقرأ بها، مثل: **"النُّفَثات"** الفلق:٤. بضم النون روح عن يعقوب.[1] قال ابن الجزري: "واختُلِف عن رُوَيْسٍ في ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ الفلق:٤، فروَىٰ النخّاسُ عن التمارِ عنه عن طريق الكارَزيني والجوهري عن التمار ﴿ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾ الفلق:٤ بألِفٍ بعد النّونِ وكسرِ الفاءِ مُخفَّفةً من غير ألِفٍ بعدها، ... وروَىٰ باقي أصحابِ التَّمَّارِ عَنْهُ عن رُوَيْسٍ بِتَشْدِيدِ الفاءِ وفتحِها وألفٍ بعدها من غير ألِفٍ بعد النُّونِ، وبذلك قرأ الباقون، وَأَجْمَعَتِ الْمَصَاحِفُ عَلَىٰ حَذْفِ الأَلِفَيْنِ فاحتملَتْها القراءتانِ، وكذلك ﴿ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾ بِمَا انفرد به أبو الكَرَمِ الشَّهْرُزُورِيُّ فِي كتابه المصباحِ عَنْ رَوْحٍ بِضَمِّ النُّونِ وَتَخْفِيفِ الْفَاءِ وَجَمْعِ " نَفَّاثَةٍ "، وَهُوَ مَا نَفَثْتَهُ مِنْ فِيكَ،.. وَالْكُلُّ مَأْخُوذٌ مِنَ النَّفْثِ، وَهُوَ شِبْهُ النَّفْخِ، يَكُونُ فِي الرُّقْيَةِ، وَلَا رِيقَ مَعَهُ، فَإِنْ كَانَ مَعَهُ رِيقٌ فَهُوَ مِنَ التَّفْلِ،.. فـ ﴿ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ بِالتَّشْدِيدِ: السَّوَاحِرُ، عَلَىٰ مُرَادِ تَكْرَارِ الْفِعْلِ وَالِاحْتِرَافِ بِهِ، وَالنَّفَّاثَاتُ: تَكُونُ لِلدَّفْعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْفِعْلِ وَلِتَكْرَارِهِ أَيْضًا، وَالنَّفْثَاتُ

(١) النشر ٢/ ٤٠٥.

يجوزُ أن يَكُونَ مقصورًا مِنَ النَّفَّاثَاتِ، وَيُحْتَمَلُ أن يكونَ في الأَصْلِ عَلَىٰ فَعَلَاتٍ مِثْلَ حَذَرَاتٍ؛ لِكَونِهِ لازِمًا، فَالقراءاتُ الأربعُ ترجعُ إلىٰ شيءٍ واحِدٍ، ولا تُخالِفُ الرَّسْمَ"[1]

ب: **القراءات الشاذة التي ذكرها في الكتاب مثل**: ما رواه "الأصمعي عن أَبِي عَمْرٍو، (الزِّرَاطَ) بِالزَّاي الخالِصَةِ"[2]، فهي رواية شاذة عن أبي عمرو، وإن تواترت عن حمزة بروايتيه.

٣-كتاب غاية النهاية، وقد قام أحد الباحثين بإحصاء القراءات الشاذة الواردة فيه، ويمكن تقسيم القراءات الشاذة التي وردت فيه إلىٰ قسمين:

الأول: شاذ إسنادًا متواتر أداءً، والمقصود أن هذه القراءة نسبت لأحد القراء أو الرواة لكنها لا تقرأ له، وإنما تقرأ لغيره من القراء العشرة، مثل: ما روي "عن أبي عمرو أنه كان يقرأ بين الصاد والزاي مثل حمزة" فالمقروء به في المتواتر بهذا الوجه لحمزة فقط، وأما نسبته لأبي عمرو فشاذ لا يقرأ به له.

الثاني: شاذ إسنادًا وأداءً، وهي القراءات التي لم تتواتر عن أحد من العشرة أو غيرهم، وهي التي قام البحث علىٰ دراستها في ضوء مستويات اللغة.

---

(١) النشر ٢/ ٤٠٥.

(٢) النشر ١/ ٤٩.

المحور الثاني: الدراسة التطبيقية

القراءات الشاذة في غاية النهاية دراسة صوتية وصرفية

أولًا: الدراسة الصوتية:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]

- قال ابن الجزري في أثناء ترجمته لأبي معمر المِنقري: "وهو الذي انفرد بإسكان اللام من ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ عن أبي عمرو"(١)، وذكر في ترجمة مدين بن شعيب قوله: "وهو الراوي عن أبي عمرو ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ساكنة اللام"(٢)

- فهذه قراءةٌ شاذةٌ عزاها ابن الجزريّ لأحد القراء العشرة وهو أبوعمرو البصري من رواية عبد الوارث(٣)؛ حيث ورد لأبي عمرو ثلاث قراءات في هذه الكلمة، تواتر منها: ﴿مَٰلِكِ﴾ بفتح الميم وكسر اللام، وثنتان لم يتصل سندهما، وهما: "مَلْك" بفتح الميم وإسكان اللام، و"مِلْك" بكسر الميم وإسكان اللام، وقد ذكر ابن مجاهد (٣٢٤هـ) القراءة الأولىٰ "مَلْك" عن طريق التحديث فقال: "حدثني مدين بن شعيب عن محمد بن شعيب الجرمي عن أبي معمر عن عبد الوارث عن أبي عمرو أنه قرأ ملْك ساكنة اللام، وروىٰ غيره عن عبد الوارث عن أبي

---

(١) غاية النهاية ١/ ٦١١.

(٢) السابق ٢/ ٣٨٣.

(٣) عبد الوارث بن سعيد بن العنبري، مولاهم البصري، إمام حافظ مقرئ ثقة، ولد سنة ١٠٢هـ، وعرض القرآن علي أبي عمرو، ومات ١٨٠هـ.

عمرو "مِلْك" مكسورة الميم وساكنة اللام"[١] وقد نسبت هذه القراءة «مَلْكِ» لأبي هريرة (٥٧هـ)، وعمر بنِ عبدِ العزيزِ (١٠١هـ)[٢]، وعاصم الجحدري (١٢٨هـ)[٣] والوليد بن مسلم عن ابن عامر، وابن ميسرة[٤]، قال مكي(٤٣٧هـ): وروىٰ عبد الوارث عن أبي عمرو أنه قرأ ﴿مَلِكِ﴾ بإسكان اللام والخفض، ولم أقرأ بذلك له.[٥]

وما ذكره ابن الجزري من انفراد المترجم له بهذه القراءة عن أبي عمرو فيه نظرٌ؛ إذْ إنّ ابن الدهّان ذكر أنها رواية ابن ميسرة[٦] وعبد الوهاب[٧] وعبد الوارث عن أبي عمرو[٨]، إلا أن يحمل كلام ابن الجزري

---

(١) السبعة في القراءات ص١٠٥. وينظر: شواذ القراءات للكرماني ١/ ٤٤.

(٢) النشر ١/ ٤٧.

(٣) زاد المسير ١/ ١٩.

(٤) المغني لابن الدهان ١/ ٣٦٣.

(٥) الإبانة ١/ ١٢١.

(٦) نعيم بن ميسرة، أبو عمرو الكوفي النحوي، نزل الري وكان ثقة، روىٰ القراءة عرضًا عن عبد الله بن عيسىٰ بن علي وروىٰ الحروف عن أبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود... ويروىٰ عنه حروف شواذ من اختياره، توفي سنة أربع وسبعين ومائة. غاية النهاية ٢/ ٣٤٢.

(٧) عبد الوهاب بن عطاء بن مسلم أبو نصر الخفاف العجلي البصري ثم البغدادي ثقة مشهور، روىٰ القراءة عن أبي عمرو وعن إسماعيل بن مسلم عن ابن كثير وعن أبان بن يزيد عن عاصم، مات ببغداد سنة أربع ومائتين وقيل: سنة ست أو سبع. غاية النهاية ١/ ٤٧٩.

(٨) المغني لابن الدهان ١/ ٣٦٣.

علىٰ انفراده عن عبد الوارث وليس عن أبي عمرو.

وهذا الموضع يندرج تحت ظاهرة التخفيف الحركي، وقد أفرد سيبويه لظاهرة تخفيف المكسور بابًا سماه: باب ما يسكن استخفافًا وهو في الأصل متحرك، وذلك قولهم في فخِذٍ: فخْذٌ، وفي كبِدٍ: كبْدٌ، وفي عضُدٍ: عضْدٌ، وفي الرجل: رجْلٌ، وفي كرُم الرجل: كرْم، وفي علِم: علْم، وهي لغة بكرِ بن وائل، وأناسٍ كثير من بني تميم. وقالوا في مَثَلٍ: لَمْ يُحْرَمْ مَن فُصْدَ لَهُ[1]. وقال أبو النجم:

لو عُصْرَ منه البانُ والمِسكُ انْعَصَرْ[2]

يريد: عُصِرَ.

وإنما حملهم علىٰ هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلىٰ المكسور، والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلىٰ الأثقل، وكرهوا في عُصِر الكسرة بعد الضمة، كما يكرهون الواو مع الياء في مواضع. ومع هذا إنه بناءٌ ليس من كلامهم إلا في هذا الموضع من الفعل، فكرهوا أن يحولوا ألسنتهم إلىٰ الاستثقال.

وإذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء يخفّفون أيضًا، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنما الضمتان من الواوين، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمتان لأن الضمة من الواو. وذلك قولك: الرسْل، والطنْب،

---

(١) مجمع الأمثال ٢/ ١٩٢.

(٢) البيت من أرجوزة لأبي النجم العجلي، في ديوانه ص١٠٣ في وصف جارية، وقبله: بيضاء لا يشبع منها من نظر ** خود يغطي الفرع منها المؤتزر، وينظر: وأدب الكاتب ص٥٣٨، وإصلاح المنطق ص٣٦، والكتاب ٤/ ١١٤.

والعنْق تريد الرسُل، والطنُب، والعنُق. وكذلك الكسرتان تكرهان عند هؤلاء كما تكره الياءان في مواضع، وإنما الكسرة من الياء، فكرهوا الكسرتين كما تكره الياءان. وذلك في قولك في إبِلٍ: إبْلٌ. وأما ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يسكنون منه، لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر، كما أن الألف أخف من الواو والياء.(١)

وهذا الذي أصّله سيبويه تابعه عليه علماء القراءات، قال ابن مجاهد (٣٢٤هـ): وهذا من اختلاس أبي عمرو الذي ذكر أنه كان يفعله كثيرًا، وهو كقول العرب في كبِد كبْد يسكنون وسط الاسم في الضم والكسر استثقالًا(٢)

وفي كلام سيبويه السابق إشارة إلىٰ التفسير الصوتي والتفسير اللهجي؛ حيث ذكر أن إسكانَ المتحرك لغةُ بكرِ بنِ وائل وكثيرٍ من بني تميم، وهذا ما أقرته معاجمنا اللغوية. وفي تاج العروس: "والمَلْكُ بالفَتْحِ، وككَتِف وأَمِيرٍ وصاحِبٍ: ذُو المُلْكِ، وبهِنَّ قُرِئَ قولُه تعالَىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، و﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ و﴿مَلِيكِ يَومِ الدِّينِ﴾ و﴿مَلْكِ يَومِ الدِّينِ﴾، ومَلْك ومَلِكٌ، مثل فَخْذٍ وفَخِذٍ، كأَنَّ المَلْكَ مُخَفَّفٌ من مَلِك.(٣)

وقُرِئَ "مَلْكِ" كسَهْلٍ، أَي ساكِنَةَ اللام، ورُوِي ذَلِك عَن أبي عَمْرو، ..رَوَاهَا عَبدُالوارِثِ عَنهُ، قَالَ: وَهَذَا من اخْتِلاسِه، وأَصْله مَلِك ككَتف،

(١) الكتاب ٤/ ١١٣.

(٢) السبعة في القراءات ص١٠٥.

(٣) تاج العروس (م ل ك).

فسَكَّن، وَهِي لُغَةُ بَكْرِ بنِ وائِل.[1] وربيعة بن نزار يخففون "مَلِك"، فيقولون "مَلْك"[2]، وقال الأعشىٰ:

فقال للمَلْك سرِّح منهمُ رِ سلًا من القول مخفو ضًا وما رفعا[3]

ويؤيد الدرس اللغوي الحديث ما ذكره القدامىٰ من أن تسكين وسط الكلمة الثلاثي يظهر في لهجات بعض القبائل التي تُؤْثر المقاطع المتحركة، وتكاد الروايات تتفق علىٰ أن توالي المقاطع المتحركة صفةٌ للهجة الحجاز؛ لما عُرف من مَيل البيئةِ الحضريةِ إلىٰ التأني في النطق، أما التخفيفُ فهو من خصائص لهجات أهل البادية؛ لما عرف عنهم من السرعة، مثل تميم وأسد وبعض أهل نجد، وهذا الحذف يوفر لهم ذلك.[4]

ومع أن جمهور اللغويين علىٰ أن هذا التنوعَ القرائيَّ تنوعٌ من قبيل اللهجات إلا أن الشهاب الخفاجيَّ حكىٰ قولًا يفيد بأن هذا التنوع ليس من قبيل اختلاف اللغات، وإنما هو تنوع صرفيٌّ ترتب عليه أثر دلاليٌّ فقال: "..إنّ السكون أخفُّ من الكسر، وفعل المكسور والمضموم عينه يجوز تسكينه قياسًا بخلاف المفتوح، وهي قراءة شاذة، وظاهره أنه ليس لغة أصلية، وقد ذهب بعض أهل اللغة إلىٰ أنه غير مخفف وأنه صفة بزنة

(١) تاج العروس ٢٧/ ٣٦٤. وينظر: البحر المحيط ١/ ١٣٤.
(٢) روىٰ ذلك ابن دريد في الاشتقاق ٢٦ عن بني ربيعة.
(٣) من الطويل، ديوان الأعشىٰ ١١١، من قصيدة يمدح بها هوذَة الحنفي، وهو في بصائر ذوي التمييز ٣/ ٧١، وفي تاج العروس (ر س ل).
(٤) في اللهجات العربية ص١٦١، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٥٧، ولهجة تميم ص٤١.

صَعْب أو مصدر وصف به مبالغة"[١]، وهو أسلوبٌ عربيٌّ معروفٌ، ورد كثيرًا في القرآن، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق:١٣]، والعدول عن اسم الفاعل إلىٰ المصدر للمبالغة في الوصف، لقوة المصدر، وكأنه الشيء نفسه.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، قرأ عمرو بن فائد بتخفيف الياء.[٢] ومقتضىٰ كلام ابن الجزري أن القراءة بكسر الهمزة، ولم يُشِرْ إلىٰ الاختلاف في حركة الهمزة، وعلىٰ هذا أكثر كتب القراءات، وضبطها الكرماني بفتح الهمزة[٣] وقال ابن الدهان: وذكر عنه كسر الهمزة وفتحها مع التخفيف.[٤]

قال مكي: "وقد كرِه ذلكَ بعضُ المتأخِّرين؛ لِمُوافَقَةِ لَفْظِهِ لَفْظَ إِيَا الشّمسِ وهو ضِياؤها.[٥]، ففي تاج العروس: "وإِيَا: الشّمسِ، بالكسْرِ والقَصْرِ، أي مَعَ التّخْفيفِ، وبالفَتْح والمدِّ أَيضًا، وأَياتُها، بالكسْرِ والفَتْح، فَهِيَ أَرْبَعُ لُغاتٍ؛ نُورُها وحُسْنُها وضَوْءُها؛ ويقالُ: الأَياةُ للشَّمسِ كالهَالَةِ للقَمَرِ؛ وشاهِدُ (إياة) قولُ طرفَةَ:

---

(١) حاشية الشهاب ١/ ٩٧.

(٢) المحتسب ١/ ١١٥، وغاية النهاية ٢/ ٨٣٥.

(٣) شواذ القراءات واختلاف المصاحف ١/ ٤٦.

(٤) المغني في القراءات ١/ ٣٦٤.

(٥) الإبانة ١٢١ النشر١/ ٤٧.

سَــقَتْه إيّاةُ الشــمسِ إلاَّ لِثاتِه أُسِـفَّ وَلـم تَكْدِمْ عَلَيْهِ بإثْمِد [١]

وشاهِدُ (إيَا) بالكسْرِ مَقْصورًا ومَمْدودًا قولُ مَعْنِ بنِ أَوْسٍ أَنْشَدَه ابنُ برِّي:

رَفَّعْنَ رَقْمًا علىٰ أيْلِيَّةٍ جُـدُدٍ لاقَىٰ أيَاها أياءَ الشــمسِ فَائتَلَقا[٢]

فجمَعَ اللُّغَتَيْن فِي بَيْتٍ[٣]

قال أبو الفتح ابن جني: "فوزن (إيا) علىٰ هذا (فِعَل) كرِضًا وحِجًا وحِمًىٰ، ونظيره: أيَا الشمس، ... و(إِيًا) (فِعَل)، و(أَيَاء) (فَعَال)، وكلاهما من لفظ الآية ومعناها، وهي: العلامة، وذلك أن ضوء الشمس إذا ظهر عُلم أن جرمها علىٰ وجه الأرض.

وحدثنا أبو بكر محمد بن علي قال : كان أبو إسحاق(ت٣١١هـ) يقول في قول الله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] أي: حقيقتك نعبد، وكان يشتقه من الآية وهي العلامة، وهذا يجيء ويَسُوغ علىٰ رأيِ أبي إسحاق؛ لأنه كان يعتقد في "إيَّاك" أنه اسمٌ خُصَّ به المُضمَر، فأما علىٰ قول الكافة فاشتقاقه فاسدٌ؛ لأن "إيَّاك" اسم مضمر، والأسماء المضمرة لا اشتقاق في شيء منها، وينبغي أن يكون عمرو بن فايد إنما قرأ (إِيَاكَ) بالتخفيف؛ لأنه كره اجتماع التضعيف مع ثقل الياءين والهمزة والكسرة، ولا ينبغي أن يحمل (إيَاك) بالتخفيف علىٰ أنها لغة، وذلك أنا لم نرَ لذلك أثرًا في اللغة ولا رسمًا ولا مرَّ بنا في نثر ولا

---

(١) من الطويل، ديوان طرفة ١١.

(٢) من البسيط، لمعن بن أوس، المحكم والمحيط الأعظم ١٠/ ٥٩٥.

(٣) تاج العروس (أ ي ا) ٤٠/ ٣٩١.

نظم. نعم، ومن لم يُخْلِد مع ثقته إلىٰ نظرٍ يُعْصم به ويتساند إليه بأمانته، أُتي من قبل نفسه من حيث يظن أنه ينظر لها، وكان ما دهاه في ذلك من أجل فقاهته لا أمانته.

وإذا جاز أن تخفف الحروف الثقال مع كونها صحاحًا وخِفافًا؛ فتخفيفُ الضعيفِ الثقيلِ أَحْرَىٰ وأَوْلَىٰ، فمن ذلك قولهم في رُبَّ رَجُل: رُبَ رَجل، وفي أَرَّ: أَرْ، وفي أيٍّ: أيْ، أنشدنا أبو علي للفرزدق:

تنظرتُ نصـرًا والسـماكين عَلَيَّ من الغيثِ ا ستهَلَّت مواطِرُه[1]

ويبدلون أيضًا ليختلف الحرفان فَيَخِفّا، وذلك قوله:

يا ليتما أُمُّنَا شـالت نعامَتُها أَيْمَا إلىٰ جنة أَيْمَا إلىٰ نار[2]

وقالوا في اجلوَّاذ: اجليواذ، وفي دِوَّان: ديوان، والشيء من هذا ونحوه أوسع؛ لكن كل واحد من هذه الحروف وغيرها قد سمع وشاع، فأما "إِيَاكَ" بالتخفيف فلم يسمع إلا من هذه الجهة، وينبغي للقرآن أن يُختار له، ولا يختار عليه.[3]

وَعَنِ الفَضْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّقَاشِيِّ (أَيَّاكَ نَعْبُدُ وَأَيَّاكَ) بِفَتْحِ الهَمْزَةِ فِيهِمَا، وَهِيَ لُغَةٌ وَرَوَاهَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ عَلِيٍّ أَيْضًا،[4] وفيه لغاتٌ: أشهرُها كسرُ الهمزةِ وتشديدُ الياءِ، ومنها فتحُ الهمزةِ وإبدالُها هاءً مع

(١) من الطويل، ديوان الفرزدق ١/ ٣٤٧.

(٢) من البسيط، لسعد بن قرط، ديوان الحماسة ٢/ ٥٦١، والمحتسب ١/ ٢٨٤، وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢/ ٣، شرح التسهيل ٢/ ١٩٣.

(٣) المحتسب١/ ٣٩.

(٤) النشر١/ ٤٨.

تشديدِ الياء وتخفيفها... وقال بعضهم: إياك بالتخفيف مرغوبٌ عنه، لأنه يصير: شمسَك نعبد، فإنَّ إياةَ الشمس ضَوْءُها بكسر الهمزة.

والحاصل أن العلماء في هذه القراءة على ثلاثة آراء:

١-كراهة هذه القراءة لئلا تلتبس بنور الشمس كما في المعاجم. ويرد علىٰ هذا بأن السياق يأبىٰ هذا التصور؛ فالسياق آمن من اللبس.

٢-أنه نهج بالكلمة إلىٰ اليسر والسهولة، لا سيّما أنه اجتمعت فيها عوامل الثقل؛ كوجود الهمز والكسرة مع تضعيف الياء، ويضاف إلىٰ ذلك وجود نظائر لهذا التخفيف، مثل قوله سبحانه: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ﴾ [الحجر:٢] إذ قرئت بالتخفيف والتشديد.(١)

٣- أنها لغة.

الموضع الثالث: قوله تعالىٰ:﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾[القمر:٥٣]

قال ابن الجزري في ترجمة عصمة بن عروة: "... وهو المنفرد عن أبي بكر برواية ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ بتشديد الراء لم يروه غيره"(٢) هذه قراءة شاذة، رويت عن عاصم، إلا أن ذكر ابن الجزري بأنّ عصمةَ منفردٌ بها عن أبي بكر فيه نظرٌ!، قال ابن الدهان(ق٦هـ): "أبو حاتم عن مفضل، وهارون عن عصمة كلاهما عن عاصم والأعمش بتشديدها"(٣)، ولم يوضح ابن الجزري حركة الطاء، وبناء علىٰ توجيه العلماء يظهر تنوع

(١) قرأ المدنيّان، وعاصمٌ بتخفيف الباءِ، وقرأ الباقون بتشديدها. النشر ٢/ ٣٠١.
(٢) غاية النهاية ١/ ٥١٢.
(٣) المغني لابن الدهان ٤/ ١٧٣٦.

حركة الطاء.

قال أبو عمرو: وهذا لا يكون إلا عند الوقف، لغة معروفة.[١] والوقف موضع تغيير، ومن ثم أبدلوا من التاء فيه هاء، في نحو: (طلحة، وحمزة، ..)، ويبدل من التنوين الألف، ويُضعّف فيه الحرف، كما في قولهم (فَرَجّ)، ويحذف فيه الحرف في القوافي.

وتضعيف الحرف الأخير عند الوقف له شروط أشار ابن مالك إلىٰ معظمها بقوله:

أوِ اشْـمِم الضّـمّةَ أو قِفْ ما ليس همزًا أو عليلاً إن قَفَا
مُحَرَّكًا وحركاتٍ انقُلَا .....[٢]

وظاهرة تضعيف الحرف الأخير عند الوقف نُسبت إلىٰ قبيلة بني سعدٍ، إلا أنّ المحدثين اختلفوا، أي بني سعد نسبت إليهم، فيرىٰ بعضهم أنهم سعد بن بكر، ويرىٰ آخرون أنهم سعد بن وائل[٣]، واختار بعضهم أن هذه اللهجة تميميةُ الأصل، وأنها إنما انتقلت إلىٰ سعد بن بكر بسبب المجاورة، إذ كانت تسكن في بادية هوازن المجاورة لنجد، ومعلومٌ أن هناك تقاربًا لَهَجيًّا بين عُليا هوازن وسُفلىٰ تميم، وربما انتقلت اللهجة بسبب هذا التأثر إلىٰ سعد بن بكر، مع كونها تميمية

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٢.

(٢) ألفية ابن مالك ص ١٣٠.

(٣) ينظر: في اللهجات العربية ص ١٤٧، ١٤٨، واللهجات العربية في التراث ٢/ ٤٨٩.

الأصل.[1]

والتضعيف للحرف الأخير الموقوف عليه يكون بزيادة حرف مثله عليه، مما يستلزم إدغام الأول في الثاني، وذلك لإظهار أن الحرف الموقوف عليه متحركٌ في الأصل، بحركة إعرابٍ أو بناءٍ، حرصًا علىٰ وضوح الصوت وظهوره في موضع الوقف، وتلك سمة بدوية إذ يحرصون علىٰ وضوح الصوت وجلائه.[2]

قال أبو حيان: "﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: أَيْ مَسْطُورٌ فِي اللَّوْحِ. يُقَالُ: سَطَّرْتُ وَاسْتَطَرْتُ بِمَعْنًىٰ. وَقَرَأَ الأَعْمَشُ وَعِمْرَانُ بْنُ حُدَيْرٍ وَعِصْمَةُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ: بِشَدِّ رَاءِ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾.

وهكذا أضافت القراءة الشاذة ملمحًا صوتيًّا لهجيًّا، وآخر صرفيًّا، وملمحًا دلاليًّا:

-**الملمحُ الصوتيُّ** يتمثل في الوقف بالتضعيف﴿مُسْتَطَرٌّ﴾، وهو من لغات العرب، والقراءة بصورتيها المتواترة والشاذة خير ما يمثِّل التنوع اللهجي عند العرب ويصوره تصويرًا دقيقًا.

-**الملمحُ الصرفيُّ** يتمثل في تنوع الوزن الصرفي للقراءتين؛ فإحداهما استفعل، والأخرىٰ افتعل.

-**الملمحُ الدلاليُّ** يتمثل في أنّ الآيةَ ترهيبٌ وتحذيرٌ من الوقوع فيما يغضب الله، كبيرًا كان أو صغيرًا، فأفادت القراءة المتواترة أنه ما من صغيرٍ ولا كبيرٍ يأتي به الإنسانُ إلا وهو مكتوبٌ ومسطورٌ في اللوح المحفوظ، ثم جاءت القراءة الشاذة لتبين أن هذا المسطور ليس خفيًّا،

---

(١) ينظر: اللهجات لسيبويه في الكتاب، أصواتًا وبنية ص ٣٥٥.

(٢) ينظر: الحجة لأبي علي٢/ ٣٠١، والمنصف ١/ ١٠، وشرح المفصل ٩/ ٦٧.

وإنما هو ظاهرٌ ثابتٌ.

قَالَ صَاحِبُ اللَّوَامِحِ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ طُرَّ النَّبَاتُ وَالشَّارِبُ إِذَا ظَهَرَ وَثَبَتَ، بِمَعْنَىٰ: كُلُّ شَيْءٍ ظَاهِرٌ فِي اللَّوْحِ مُثْبَتٌ فِيهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الِاسْتِطَارِ، لَكِنْ شَدَّدَ الرَّاءَ لِلوَقْفِ عَلَىٰ لُغَةِ مَنْ يَقُولُ: جَعْفَرٌّ وَنَفْعَلٌّ بِالتَّشْدِيدِ وَقْفًا. انْتَهَىٰ، وَوَزْنُهُ عَلَىٰ التَّوْجِيهِ الأَوَّلِ اسْتَفْعَلَ، وَعَلَىٰ الثَّانِي افْتَعَلَ".(١) والتوجيه الأول مُؤنسٌ بكسر الطاء، والتوجيه الثاني مُؤنسٌ بفتحها.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور:٣١] بفتح الواو، تفرد بروايتها أبو عبد الله الكلاعي عن أبي أيوب عن يحيىٰ عن ابن عامر.(٢) وقرأ الأعمش «عَوَرات» وهي لغةُ هُذَيْلٍ وبني تميم: يفتحون عينَ فَعَلات واوًا أو ياءً وأُنشِدَ:

أخو بَيَضـــاتٍ رائحٌ متـأوِّبٌ رفيقٌ بمَسْـح المَنْكِبينِ سَـبُوْحُ(٣)

والجَمْعُ: عَوْرَاتٌ. وَقَالَ الجَوْهَرِيّ: إِنّمَا يُحَرَّك الثَّانِي من فَعْلَةٍ فِي جَمْعِ الأَسماءِ إِذا لم يَكُنْ يَاء أَوْ وَاوًا وقَرَأَ بَعْضُهُم: ﴿عَوَرَاتِ النِّسَاءِ﴾

(١) البحر المحيط ١٠/ ٤٩.

(٢) غاية النهاية ١/ ٥٠٣.

(٣) من الطويل، وهو لأحد الهذليين في الدرر ١/ ١٥، وشرح المفصل ٥/ ٣٠، وبلا نسبة في أسرار العربية ٣٥٥، وأوضح المسالك ٤/ ٣٠٦، وخزانة الأدب ٨/ ١٠٢، ١٠٤، والخصائص ٣/ ١٨٤، وشرح شواهد الشافية ص١٣٢، ولسان العرب ٧/ ١٢٥، (ب ي ض). الدر المصون ٨/ ٤٣٧.

بالتَّحْرِيك.[1]

وهذه القراءة الشاذة إنما تندرج تحت المماثلة الصوتية التي تُعَدُّ نوعًا من التوافُق الحركي لإحداث التجانُس الصوتي بتقريب الأصوات بعضها من بعض لضربٍ من التشاكُلِ، والغاية هي الخِفةُ والانسجامُ بين الأصوات.

الموضع الخامس قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ [البقرة:٣٨]

قرئت بتشديد الياء "هُدَيَّ" منسوبة إلىٰ النبي ﷺ وابن أبي إسحق والجحدري ومحمد بن وهف الثقفي[2]، ففي المحتسب: ومن ذلك قراءة النبي ﷺ وأبي الطفيل، وعبد الله بن أبي إسحاق، وعاصم الجحدري، وعيسىٰ بن عمر الثقفي: "هُدَيَّ".[3]

ومن الناحية اللهجية، قال أبو الفتح: هذه لغةٌ فاشيةٌ في هُذيلٍ وغيرِهم؛ أن يَقلِبوا الألفَ من آخر المقصور -إذا أضيف إلىٰ ياء المتكلم- ياء. قال الهذلي:

سبقوا هَوَيَّ وأعنقوا لهواهم فتُخِرِّمُوا ولكل جنب مَصْرَعُ[4]

---

(١) تاج العروس (ع و ر).

(٢) إدغام ألف المقصور في ياء المتكلم لغة هذيل وبعض بني سليم وأهل السروات وقريش وطيء. المحتسب ١/ ٧٦، والصحاح (هـ و ىٰ)، ومعاني الفراء ٢/ ٣٩، والكشاف ٢/ ٤٥٢، والدر المصون ٦/ ٤٦٠، وفي إعراب ابن خالويه ١/ ٣٠٦، وفي شرح التصريح ٢/ ٦١.

(٣) المحتسب ١/ ٧٦.

(٤) من الكامل، لأبي ذؤيب، في ديوانه في (ديوان الهذليين) ١: ٢، ينظر: شرح أشعار الهذليين ١/ ٧، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧٠٠.

وأما تفسيرها لُغويًّا فقد قال أبو الفتح: قال لي أبو علي: وجه قلب هذه الألف لوقوع ياء ضمير المتكلم بعدها، أنه موضع ينكسر فيه الصحيح، نحو: هذا غلامي، ورأيت صاحبي، فلما لم يتمكنوا من كسر الألف قلبوها ياء، فقالوا: هذه عَصَيّ، وهذا فتيّ؛ أي: عصاي وفتاي، وشبّهوا ذلك بقولك: مررت بالزيدين، لمّا لَم يتمكّنوا من كسرِ الألفِ للجرِّ قلَبوها ياءً، ولا يجوز علىٰ هذا أن تُقلبَ ألِفُ التثنيةِ لهذه الياء، فتقول: هذان غلاميّ؛ لِما فيه من زوال عَلَمِ الرفع، ولو كانت ألف عصا ونحوها عَلَمًا للرفع لم يَجُزْ فيها عصَيّ"[1].

الموضع السادس قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١]. قال في النشر: "انفرد صاحب المبهج عن أبي عثمان الضرير عن الدوري بإمالة: ﴿أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ قال ابن خالويه: ﴿أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ بالإمالة عبيد عن أبي عمرو.

وسبب هذه الإمالة راجع إلىٰ الكسرة التي بعد الألف، فقد ذكر اللغويون والقراءُ اثنيْ عَشَرَ سببًا للإمالة، تعودُ عشرةٌ منها إلىٰ شيئين هما الياء والكسرة.[2]

تعد الإمالة ضربًا من ضروب التأثر الذي تتعرض له الصوات حين تتجاور أو تتقارب لإحداث نوعٍ من الانسجام الصوتي والتماس الخِفة

(١) المحتسب ١/ ٧٥.

(٢) ينظر: شرح الهداية ٢٨٣، والنشر ٢/ ٣٢، والكتاب ٤/ ١١٧، والموضح ١/ ٢١٠.

أو المُشاكَلة أو التوافُق الحركيّ.[١] وهي في اللغة مأخوذةٌ من المَيل وهو: "العدول إلىٰ الشيء والإقبال عليه وكذلك الميلان، ومال الشيء يميلُ مَيْلًا ومَمَالًا ومَميلًا وتَمْيَالًا ..."[٢].

واصطلاحًا: أن تَنحُوَ بالفتحةِ نحو الكسرةِ، وبالألف نحو الياء [٣]، وهي عند علماء القراءات : "تقريبُ الألِفِ نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحوَ الكسرةِ"[٤] وعرّفها الصفاقسي: "أن تَنْحُوَ بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء قليلاً"[٥]. وتنقسم إلىٰ قسمين[٦]: كبرىٰ: وهي المَحْضَةُ أي المتناهيةُ في الانحراف، ويقال لها الإضجاع أو البطح أو الكسر. وصغرىٰ: وهي بين اللفظين، أي بين لفظ الفتح ولفظ الإمالة المحضة، ويقال لها التلطيف والتقليل، وبين بين، ويحدث صوت الإمالة "من ارتفاع مُقدَّمِ اللسان نحو منطقة الغارِ ارتفاعًا يزيد علىٰ

---

(١) ينظر: الكتاب ١/ ١١٧، والخصائص ٢/ ١٤١، واللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي ص١٣٤، واللهجات في الكتاب، صالحة غنيم ص١٧١.

(٢) لسان العرب ١١/ ٦٣٦ (م ي ل).

(٣) ينظر: المقتضب، المبرد ٣/ ٤٢، وشرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك، ابن عقيل ١/ ٣١٤، وشرح جمل الزجاجي، ابن عصفور الأشبيلي ٢/ ٦١٣، وفي الدراسات القرآنية واللغوية الإمالة في القراءات واللهجات، عبد الفتاح اسماعيل شلبي ٣١ـ ٣٢.

(٤) التبصرة ١١٨، وينظر: الكشف ١/ ١٦٨.

(٥) غيث النفع ص ١٣٩.

(٦) ينظر: النشر ٢/ ٣٠، والإتقان ١/ ٣١٤، في الدراسات القرآنية واللغوية ٣٤.

ارتفاعه مع الفتحة المرققة ويقل عن ارتفاعه مع الكسرة ويكون وضع الشفتين مع الإمالة وضع انفراج إلاّ أنه دون الانفراج الذي يكون مع الكسرة "[١] والفتح والإمالة: "لغتان فاشيتان علىٰ ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم: فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس"[٢]، وهي أيضًا لغة هوازن وبكر بن وائل وبني سعد[٣].

الموضع السابع قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١، ٢]

بقطع همزة لفظ الجلالة، رواها أبو أناس الأسدي عن عاصم. وهي إحدىٰ الروايتين عن شعبة كما في السبعة[٤]، ولكنها خلاف المشهور عنه.[٥] ورويت عن أبي جعفر والحسن وعمرو بن عبيد والرؤاسي والأعمش والبرجمي[٦]وَقَفُوا عَلَىٰ المِيم، كَمَا وَقَفُوا عَلَىٰ الأَلِفِ وَاللَّامِ، وَحَقُّهَا ذَلِكَ، وَأَنْ يُبْدَأَ بما بَعْدَهَا كَمَا تَقُولُ: وَاحِدٌ اثنان[٧].

---

(١) في الأصوات اللغوية ص ١٦٣.

(٢) النشر ٢ / ٣٠.

(٣) ينظر: منجد المقرئين ص ٦٠.

(٤) ينظر: السبعة في القراءات ص٢٠٠.

(٥) ينظر: مختصر في شواذ القرآن ص٢٥، وجامع البيان ٤٤٣، ٤٤٤. غاية النهاية ١/ ٢٧١.

(٦) الدر المصون ٣/ ١٣، غاية النهاية ١/ ١٩٩، الكشف ١/ ٣٣٤، البحر المحيط ٢/ ٣٧٤.وينظر: شواذ القرآن واختلاف المصاحف ١/ ١٤٩.

(٧) البحر المحيط ٣/ ١٠.

تلجأ العربية إلىٰ التخلُّص -أحيانًا-من ثِقل التقاء الساكنين بالتحريك، مراعاةً للتكافُؤِ والانسجام في بنية الكلمة، وفي اتصالها بغيرها، حتىٰ يجيء الكلام علىٰ هيئة مخصوصة منسجمة، وهو اقتصادٌ عضليٌّ يلجأ إليه المتكلم، والتخلص من التقاء الساكنين بتحريك الأول بالكسر هو الأصل، ولا يُعدَلُ عنه إلا لِعِلّةٍ.(١)

الموضع الثامن قوله تعالى:﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ [آل عمران:٨١]

"قرأ العامة ﴿إِصْرِى﴾ بكسر الهمزة وهي الفصحى، وقرأ أبو بكر عن عاصم في رواية: «أُصْري» بضمها، ثم المضمومُ يُحتمل أن يكون لغةً في المكسور وهو الظاهر، ويحتمل أن يكونَ جمع إصار، ومثله أُزُر في جمع إزار"(٢) "قال: كلهم قرأ ﴿إِصْرِى﴾ بكسر الألف إلّا ما حدّثني به محمد بن أحمد بن واصل قال: حدثنا محمد بن سعدان عن معلّىٰ [ابن منصور] عن أبي بكر عن عاصم أنّه قرأ: أصري بضم الألف. قال أبو علي: يشبه أن يكون الضمّ في «الأصر» لغة في «الإصر»."(٣)

و الإِصْرُ -بالكَسْر: العَهْدُ، وَفِي التَّنْزِيل العَزِيز: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾[آل عمران:٨١] قَالَ ابْن شُمَيل: الإِصْرُ: العَهْدُ

(١) ينظر: شرح المفصل ٩/ ١٢٥، والتطور اللغوي التاريخي ص٧٣.
(٢) غاية النهاية ٢،٣٠٤، والدر المصون ٣/ ٢٩٤.
(٣) الحجة لأبي علي ٣/ ٧٠.

الثَّقيلُ، وما كان عن يمينٍ وعهدٍ فهو إِصْرٌ. وقال الفَرّاءُ: الإِصْرُ ها هُنا إِثم العَقْدِ والعَهْدِ إِذا ضَيَّعُوه، كَمَا شَدَّد علىٰ بني إِسرائيلَ.

ورُوِيَ عن ابن عبّاس: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾: [البقرة:٢٨٦] قال: عَهْدًا لَا نفِي بِهِ وتُعَذِّبنا بتَرْكِه ونَقْضِه، وَقَوله: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ [آل عمران:٨١] قَالَ ميثاقي وعهدي. قَالَ أبو إسحق: كل عقد من قَرَابةٍ أَو عهدٍ فَهُوَ إصرٌ، والإصر: الذنب، قَالَ أبو مَنْصُور فِي قَوْله تعالي: ﴿إِصْرِى﴾ أَي عُقُوبةَ ذَنْبٍ تَشُقُّ علينا. وَقَالَ شَمِرٌ فِي الإِصْرِ: إِثْمُ العَقْدِ إذا ضَيَّعه، وسُمِّيَ الذَّنْبُ إِصْرًا لِثقَلِهِ.

والإِصْرُ: الثِّقَلُ، سُمِّيَ بِهِ لأَنّه يَأْصِرُ صاحبَه، أَي يَحْبِسُه من الحراك.

وقولُه تعالَىٰ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف:١٥٧] قال أبو مَنْصُور: أَي مَا عُقِدَ مِن عَقْدٍ ثَقِيل عَلَيْهِم، مثل قَتْلِهم أَنفسَهم، وَمَا أَشبَه ذلك، من قَرْضِ الجِلدِ، إِذا أَصابَتْه النَّجَاسةُ، وَقَالَ الزَّجّاج فِي قَوْله تعالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾: أي أَمْرًا يَثْقُلُ علينا ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ نَحْو مَا أُمِرَ بِهِ بَنو إِسرائِيلَ مِنْ قَتْل أَنفسِهِم، أَي لَا تَمْتَحِنّا بِمَا يَثْقُلُ علينا. (ويُضَمُّ ويُفْتَحُ فِي الكلِّ). والإِصْر: مَا عَطفكَ علىٰ الشَّيْءِ.

وفِي حَدِيث ابنِ عُمَرَ: "مَن حَلَفَ علىٰ يَمِينٍ فِيهَا إِصْرٌ فَلَا كَفّارةَ لَهَا"، قَالُوا: الإِصْرُ: (أَنْ تَحْلِفَ بطَلَاقٍ أَو عَتَاقٍ أَو نَذْرٍ) ...]][1]

(١) تاج العروس (أ ص ر) ١٠/ ٥٧.

الموضع التاسع قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ [الأنعام:٦٢]بكسر الراء، رواية عن عاصم. وهي لغة هذيل.(١)

"قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ قرأ الجمهور بضم الراء خالصًا. وقرأ الأعمش ويحيىٰ بن وثاب وإبراهيم: «رِدُّوا» بكسرها خالصًا. وقد عَرَفْتَ أن الفعلَ الثلاثي المضاعف العين واللام يجوز في فائه إذا بُني للمفعول ثلاثة الأوجه المذكورة في فاء المعتل العين إذا بُني للمفعول نحو: قيل وبيع"(٢)

والضمة تتكون بتحرك أقصىٰ اللسان، وتتكون الكسرة بتحرك أدناه، وتحرك أدنىٰ اللسان أيسر من تحرك أقصاه، لذلك فالضمة تحتاج مجهودًا عضليًّا أكثر حال النطق من الكسرة، ولما كان الضم صفة من صفات الخشونة والشدة حرص عليها البدوي، لأنها تميزه من غيره، فتعصب لها وتمسك بها.(٣) ومن هنا جاءت نسبة لغة الضم لتميم من أهل البدو، وإن كان مبنىٰ الأمر في القراءة علىٰ التلقي والرواية.

(١) غاية النهاية ١/ ٣٤٨.

(٢) الدر المصون ٤/ ٥٩١.

(٣) في اللهجات العربية، د. أنيس ص٩٦.

الموضع العاشر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يس:٦٢] بكسر الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام(١).

"قرأ: (جِبِلًّا) بكسر الجيم والباء المدنيان وعاصم. وقرأ: (جُبْلًا) بضم الجيم وإسكان الباء ابن عامر وأبو عمرو. و(جُبُلًّا) ضم الجيم والباء وتخفيف اللام ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف ورويس. و(جُبُلًّا) روح.

وقرأ أبو يحيىٰ والأشهب العقيلي (جِبْلًا) بكسر الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام، و(جِبَالًّا) مكسورة الجيم مفتوحة الباء وبألف.(٢)

فهذه ست قراءات، ومعنىٰ الكلمة كيف تصرفت في هذه اللغات: الخَلق والجماعة. قال المهدوي والثعلبي: وكلها لغات بمعنىٰ الخَلق، والاشتقاق فيه كله واحد. وإنما هو من جَبَل الله عز وجل الخلق أي خلقهم. وقد ذكرت قراءة أُخرىٰ، وهي: "ولقد أضل منكم جِيلًا كثيرًا" بالياء. وحكي عن الضحاك أن الجيل الواحد عشرة آلاف، والكثير ما لا يحصيه إلا الله عز وجل، ذكره الماوردي.(٣)

وفي معاجم اللغة: (ج ب ل): جَبَلَ اللهُ الخلق يجبَلهم ويجبُلهم: خلقهم، وجبله علىٰ الشيء طبعه، وجبل الإنسان علىٰ هذا الأمر أي طبع

---

(١) غاية النهاية ١/ ٢٢٧. ويُنظر: المحتسب ٢/ ٢١٦، والمحرر ١٢/ ٣١٦ إلىٰ الأشهب العقيلي، وفي إعراب القرآن للنحاس٣/ ٣٠٤، والقرطبي١٥/ ٤٧. منسوبة إلىٰ الأشهب وأبي يحيىٰ.

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص٤٦٩، والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٢٤.

(٣) تفسير القرطبي ١٥/ ٤٧، وزاد المسير ٧/ ٣٠.

عليه، وجبلة الشيء طبيعته وأصله وما بني عليه...والجِبلة، والجُبلة، والجِبلّ، والجِبِلّة، والجَبيل، والجُبُلّ، والجِبْل .. كل ذلك الأمة من الخلق، والجماعة من الناس.(١)، ومن هنا، تتفق القراءات علىٰ المعنىٰ الذي تعطيه الآية، وهو: ولقد أضل الشيطان منكم خلقًا كثيرًا، أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به وعُدولكم إلىٰ اتباع الشيطان، وقد بلغكم من هلاك الأمم الخالية بطاعته؟(٢)

ولقد أصّل لنا فريق من العلماء القدامىٰ قاعدة دلالية لتنوع حركات البناء والإعراب، فذكروا أنَّ "أَقْوَىٰ الْحَرَكَاتِ هِيَ الضَّمَّةُ؛ وَأَخَفَّهَا الْفَتْحَةُ؛ وَالْكَسْرَةَ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَهُمَا؛ فَجَاءَتْ اللُّغَةُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ الْأَلْفَاظِ الْمُعْرَبَةِ وَالْمَبْنِيَّةِ فَمَا كَانَ مِنْ الْمُعْرَبَاتِ عُمْدَةٌ فِي الْكَلَامِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ: كَانَ لَهُ الْمَرْفُوعُ؛ .... وَكَذَلِكَ فِي حَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ الْمَبْنِيَّةِ الْأَقْوَىٰ لَهُ الضَّمُّ وَمَا دُونَهُ لَهُ الْفَتْحُ؛ .."(٣)

والقراءات الواردة في هذه الكلمة القرآنية تمثل مقطعيًّا هكذا:

(جِبْلًا): [ص ح ص + ص ح ص]

(جِبِلًّا): [ص ح + ص ح ص + ص ح ص]

(جُبْلًا) [ص ح ص + ص ح ص]

(جُبُلًا) [ص ح + ص ح + ص ح ص]

جُبُلًّا) ([ص ح + ص ح ص + ص ح ص]

---

(١) اللسان (ج ب ل).

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٧.

(٣) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ٢٠/ ٤٢١.

(جِبْلًا) [ص ح ص + ص ح ص]

(جِبَالًا) [ص ح + ص ح ح + ص ح ص]

ومن الناحية الصوتية -بناء علىٰ القاعدة السابقة- يمكننا القول بأن التنوعَ الحركيَّ بين الضمِّ والكسر يشخّص أحوالَ الناس بإزاءِ إضلالِ إبليس لهم؛ فمنهم من يضله إبليس بأيسر سببٍ ومن أسهلِ طريقٍ؛ بمجرد دعوته له وندائه عليه ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[إبراهيم:٢٢]، فناسب ذلك أن تأتي القراءة الشاذة علىٰ مقطعين اثنين فقط، فهي تمثل اقتصادًا في المجهود العضلي، حيث إنها قلّت مقطعًا عن المتواترة. ومنهم من كان شديدًا عليه في معالجته لإضلاله فكان التشديد، ومع ذلك تحصّل علىٰ نصيبه الكثير منهم، فجاء التشديد وفيه زيادة مقطعٍ ليفيد المبالغة في كثرة أعداد من أضلهم الشيطان.

الموضع الحادي عشر قوله تعالى: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤، والتغابن:٣]قال يحيىٰ بن معين: حدثنا حجاج الأعور عن حمزة الزيات عن الأعمش عن أبي رزين[1] قرأ: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤،

(١) مسعود، وقيل: عبيد بن مالك الأسدي؛ مولاهم، تابعي مختلَفٌ في إدراكه، يكنىٰ أبا رَزين، وقيل: لا صحبة له ولا إدراك؛ نزل الكوفة، وَرَوَىٰ عن ابن أم مكتوم، وعلي بن أبي طالب، وغيرهما، ورَوَىٰ عنه ابنه عبد الله، وإسماعيل بن أبي خالد، وآخرون، وأخرج له مسلم والأربعة، قتله عبيد الله بن زياد بعد سنة ستين، وقيل: عاش إلىٰ الجماجم بعد سنة ثمانين=وأرَّخه ابْنُ قانع سنة خمس

والتغابن:٣] بكسر الصاد.[١] هذه القراءة الشاذة نسبت لأبي رزين وزيد بن علي والحسن والأعمش[٢]

وَجَمْعُ فُعلَةَ بِضَمِّ الفَاءِ عَلَىٰ فِعَلٍ بِكَسْرِ الفَاءِ شَاذٌّ[٣]. وعلّلها السمينُ الحلبيُّ تعليلاً صوتيًّا فقال: "قرأ أبو رزين والأعمش: ﴿صِوَرَكم﴾ بكسر الصادِ فِرارًا من الضمة قبل الواوِ[٤].

الملمح الدلالي: لعلّ التبادلَ الحركيَّ بين الضمة والكسرة يمكن أن يشير إلىٰ تفاوت الخَلق في الصورة، ففي أثقل الحركات الضمة إشارة إلىٰ تمام الخلق والصورة، وفي الكسرة -وهي الأقل قوة من الضمة- إشارة إلىٰ أصحاب البلاء بنقص في الخَلق أو في الصورة، لكنها مضافة إلىٰ الحُسن، ففي كلتا الحالتين إحسانٌ وإبداعٌ، ففي مَنحِه ومَنعِه عطيةٌ وإحسانٌ وإبداعٌ.

الموضع الثاني عشر قوله تعالى: ﴿بِنُصُبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص:٤١] بفتح النون وسكون الصاد﴿بِنَصْبٍ﴾، رواها حسنون عن هبيرة التمار عن حفص. وهي إحدىٰ الروايات عن حفص[٥]

وتسعين. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٧/ ١٢٦.

(١) غاية النهاية ٢/ ٢٩٦.

(٢) شواذ القرآن ٢/ ٨٢١، والمغني في القراءات ٤/ ١٦١٥.

(٣) البحر المحيط ٧/ ٥٨٤.

(٤) الدر المصون ٩/ ٤٩٤

(٥) السبعة ص٥٥٤، وغاية النهاية ٢/ ٤٧١.

ذكر ابن الجزري هذه القراءة الشاذة وضبطها ضبط عبارة فقال: ﴿بِنَصْبٍ﴾ بفتح النون وسكون الصاد، وعزاها لحفص من رواية هبيرة[١] من طريق حسنون، وأما الرواية الثانية عن حفص فهي: ﴿بِنُصْبٍ﴾ بضم النون وإسكان الصاد، وهي إحدىٰ القراءات المتواترة الواردة في الكلمة الكريمة، حيث "قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ بِضَمِّ النُّونِ وَالصَّادِ، وَقَرَأَ يَعْقُوبُ بِفَتْحِهَما، وَقَرَأَ البَاقُونَ بِضَمِّ النُّونِ، وَإِسْكَانِ الصَّادِ"[٢]، والرواية الثالثة عن حفص كأبي جعفر[٣]، فصار في الكلمة أربع قراءات عن القراء العشرة ورواتهم، تواتر ثلاثة وشذذت واحدة ﴿بِنَصْبٍ﴾، وأنّ حفصًا نقل عنه ثلاث قراءات تواترت إحداهما أداءً وإسنادًا ﴿بِنُصْبٍ﴾، وشذت الثانية إسنادًا لا أداءً (بِنُصُبٍ)، وشذت الثالثة إسنادًا وأداءً، وكان لعلمائنا القدامىٰ توجيهات لهذه القراءات:

١-أن الأصل في القراءات إسكان الصاد، وتحريكها إنما هو من قبيل الإتباع، "أتبع الضمة الضمة"[٤]

٢-أن الأصل في القراءات تحريك الصاد، وإسكانها من قبيل التخفيف، وقد استبعد السمين الحلبي القول بالإتباع فقال: "وفيه بُعْدٌ

---

(١) هبيرة بن محمد، أبو عمر الأبرش التمار، قرأ علىٰ حفص، وأخذ عنه حسنون بن الهيثم وغيره، ينظر: غاية النهاية ٢/ ٣٥٣، ومعرفة القراء١/ ٢٠٥.

(٢) النشر٢/ ٣٦١.

(٣) المغني في القراءات لابن الدهان ٤/ ١٦٨٤. حيث نسبها لأبي عمارة عن حفص.

(٤) المختار في معاني قراءات الأمصار ٢/ ٧٥٨.

لِما عَرَفْتَ أنَّ مقتضىٰ اللغةِ تخفيفُ فُعُل كعُنُق لا تثقيل فُعْل كقُفْل"[1]

قال سيبويه: "إذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء [تميم وبكر بن وائل] يخفِّفون أيضًا، كرهوا كما يكرهون الواوين، وإنما الضمتان من الواوين، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمتان؛ لأن الضمة من الواو، وذلك قولك: الرسل والطنب والعنق"[2]

وقال عيسىٰ بن عمر (ت١٤٩هـ): "كل اسم علىٰ ثلاثة أحرف، أوله مضمومٌ وثانيه، ففيه لغتان: التخفيف والتثقيل"[3] والتخفيف لغة قراء الكوفة، وهي لغة فاشية في تميم، أما التحريك فلغة الحجازيين.[4]، والضمة أثقل الحركات قاطبة، ويزداد الثقل إذا توالت ضمتان، ولذا تميل بنو تميم وأسد وبعض نجد-وهي قبائل بادية- إلىٰ التخفيف من هذا الثقل[5]سواء كان ذلك في اسم أو فعل، وسواء كانت الحركات متماثلة كما في (خُطُوات، ونُسُك، ورُسُل، وغيرها)، أو كانت الحركات مختلفة كما في (رَجُل وعَضُد وعُلِم وكَرُم)[6]، والتسكين في هذا الصنف من الكلمات يؤدي إلىٰ المقطع المقفل، والمقطع المقفل يؤدي إلىٰ اختصار الجهد، ويساعد علىٰ التخفيف من المجهود العضلي، ويؤدي في الوقت نفسه إلىٰ اختصار الزمن في نطق الكلمة، ولذلك كان إسكان

---

(١) الدر المصون ٩/ ٣٨١.

(٢) الكتاب ٤/ ١١٣، ١١٤، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٥.

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٢/ ١٥٠.

(٤) الحجة لأبي زرعة ص١٠١، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤١.

(٥) الكتاب ١/ ١١٤، والمحتسب١/ ٢٦١، والمخصص ١٤/ ٢٢٠، ٢٢١.

(٦) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي ص١١٩-١٢٦.

المتحرك مُتّفِقًا مع طبيعة البداوة التي تميل إلىٰ السرعة في النطق، ويتناسب مع ظروف حياتهم بما فيها سرعة الأداء عند الكلام.(١)

نُصُبٍ [ص ح + ص ح + ص ح ص]

نُصْبٍ [ص ح ص + ص ح ص]

فنلاحظ أن قراءة الضم تتكون من ثلاثة مقاطع صوتية، وبإسكان صامت الصاد اندمج المقطعان الأول والثاني، فصارت الكلمة تتكون من مقطعين اثنين، وهذا من وسائل التخفيف الصوتي، ويتلاءم مع طبيعة القبائل البدوية.

٣-قال ابن عطية: "وقد ذكر هذه القراءات، وذلك كل بمعنىٰ واحد معناه المشقة، وكثيرًا ما يستعمل النصب في مشقة الإعياء. وفرق بعض الناس بين هذه الألفاظ، والصواب أنها لغات بمعنىٰ من قولهم: أنصبني الأمر، إذا شق عليّ"(٢).

٤-فرّق بعض العلماء بين هذه القراءات دلاليًّا فذكروا أن قراءة "نُصْبٍ" بضم النون وسكون الصاد جمع نصب، كوثن ووثن؛ وهو التعب والمشقة. (٣)، أو النُّصْب: الضر والبلاء في البدن، والنَّصَب: التعب، ومنه قولنا: "لا يمسنا فيها نصب" أي: تعب.(٤)

---

(١) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص٢٢٠، واللهجات في الكتاب لسيبويه، صالحة راشد آل غنيم ص١٤٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٧٧.

(٣) البحر المحيط ٧/ ٣٨٤.

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٨٤، والمختار ٢/ ٧٥٩.

وقد ذكرت معاجمنا اللغوية استعمالات ثلاثة لهذه الكلمة هي بمنزلة التوجيه للقراءات الثلاثة، ففي تاج العروس: "والنَّصْبُ - بفتح فسكون - والنُّصْبُ - بالضَّمِّ، وبضَمَّتَيْن(بِنُصُبٍ)، ... هو: الداءُ، والبلاءُ، والتَّعَبُ، والشَّرُّ"[1]

والاستعمال غير المذكور في تاج العروس هو (بِنَصَب) قراءة يعقوب، "التي احتج لها بقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ [فاطر:٣٥][2]

ويلاحظ أن هذه القراءة الشاذة لم تذكرها أشهر كتب الشواذ كالمحتسب لابن جني، وشواذ القرآن واختلاف المصاحف وذكرها الهذلي في الكامل، وابن الدهان في المغني وعزاها لأبي حيوة وهبيرة وأبي البرهسم.[4]

(١) تاج العروس (ن ص ب).
(٢) المختار في معاني قراءات الأمصار ٢/ ٧٥٨.
(٣ شواذ القرآن واختلاف المصاحف للكرماني ٢/ ٦٨٧.
(٤) الكامل ٦/ ١٦٣، والمغني ٤/ ١٥٨٤. وأبو البرهسم: عمران بن عثمان، الزبيدي الحمصي، مقرئ أهل الشام، له قراءة شاذة، ينظر: غاية النهاية ١/ ٢٦٨، فتح الباب في الكنىٰ والألقاب ص ١٧١.

الموضع الثالث عشر قوله تعالى: ﴿وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾[النحل:٨]

قال ابن الجزري في ترجمة ابن بصخان[١]: "واتفق أنه أقرأ ﴿وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾[النحل:٨] بالإدغام لأبي عمرو"[٢].

وهذا الأداء شاذٌّ؛ لأنّ شرطَ إدغامِ الراءِ في اللامِ ألا تكون مفتوحة بعد ساكن، قال ابن الجزري: "واللّامُ تُدغَمُ إِذا تحرّكَ ما قبلها في الرّاءِ بِأيِّ حركةٍ تَحَرَّكَتْ هِيَ، .... كالرّاءِ فِي اللّامِ سواءً. فَإِنْ سُكِّنَ مَا قَبْلَهَما أَدْغَمَهَا - مَضْمُومَةً كَانَتْ أَوْ مَكْسُورَةً - ... فَإِنِ انْفَتَحَتْ بَعْدَ السَّاكِنِ لَمْ تُدْغَمْ ...[٣]

وإنما ذكرت هذا الموضع في القراءات الشاذة لأنه نسب عن الصواف عن شجاع إدغام ﴿ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ﴾[الحج:٧٧]، ﴿ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ﴾[النحل:٤٤]، ﴿وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾[٤]

وعلّل علماءُ القراءاتِ هذا الاستثناء في المتواتر تعليلًا لهجيًّا بأنه

---

(١) محمد بن أحمد بن بصخان بموحدة وسكون المهملة بعدها معجمة، شمس الدين ابن عين الدولة الدمشقي ولد سنة ٦٦٨هـ، وسمع بعد الثمانين من العز ابن الفراء والعز الفاروني والليموني وغيرهم، وعني بالقراءات فقرأ علىٰ الرضىٰ بن دبوقا والفاضلي والدمياطي وغيرهم، وقرأ العربية وتصدىٰ للإقراء وظهرت فضائله، مات في خامس ذي الحجة سنة ٧٤٣. ينظر: الوافي بالوفيات ٢/ ١١٢.

(٢) غاية النهاية ٢/ ٥٧.

(٣) النشر ١/ ٢٩٤، ٢٩٥.

(٤) المغني في القراءات لابن الدهان ١/ ٣٠٨.

"جمعٌ بين اللغتين".[1]، وتعليلًا صوتيًّا لحصول الخفة بالفتح والسكون.[2]

والراء تزيد عن اللام صفة التكرير، وهي من صفات القوة؛ ولذا منع عددٌ من النحاة واللغويين إدغامها في اللام، وشنّع الزمخشري[3] علىٰ القائلين بجوازه، ودفع ابن جني ما ورد عن أبي عمر البصري بإدغام الراء في اللام[4] بأنه لا قوة له في القياس[5]، وحجتهم أن القوي لا يدغم في الضعيف، ولئلا يؤدي الإدغام إلىٰ انتهاك التكرار الذي في الراء[6]، وأجازه كثيرون، إذ إن لسان العرب ليس محصورًا فيما نقله البصريون فقط، والقراءات لا تجيء علىٰ ما علمه البصريون ونقلوه، بل القراء الكوفيون يكادون يكونون مثل قراء البصرة، وقد اتفق علىٰ نقل إدغام الراء في اللام كبير البصريين ورأسهم أبو عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي، وكبراء أهل الكوفة: أبو جعفر الرؤاسي، والكسائي والفراء، وأجازوه ورووه عن العرب فوجب قبوله والرجوع إليهم في علمهم ونقلهم، إذ من عَلِمَ حُجّةٌ علىٰ من لم يعلم، وهذا الخلاف لا يمنع من

---

(١) إبراز المعاني ١/ ٩٧.

(٢) الدرة الفريدة بشرح القصيدة ١/ ٣١٥.

(٣) ينظر: الكشاف ١/ ٥١٨/ ٥١٩.

(٤) في قوله تعالىٰ: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾ [البقرة:٥٨] النشر ٢/ ١٢.

(٥) سر الصناعة ١/ ٢٠٦، وينظر: الحجة لابن خالويه ص٨٠.

(٦) ومن هؤلاء: سيبويه وتبعه والمبرد، وابن السراج، وابن جني. ينظر: الكتاب ٤/ ٤٤٨، والمقتضب ١/ ٢١٢، والأصول في النحو لابن السراج ٣/ ٤٢٨، وسر الصناعة ١/ ٢٠٦.

الإدغام لوجود ما يبيحه روايةً، وما يسوغه دراية، فاللام والراء متقاربان من ناحية المخرج، متحدان من حيث الصفات، وفي الإدغام تخفيفٌ للثِّقل الكائن من تجاوُرِهما.

الموضع الرابع عشر قوله تعالى: ﴿مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦]

قال ابن الجزري في ترجمة عمرو بن خالد أبي حفص... وانفرد عن عاصم برواية ﴿مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦] بكسر الدال.(١)

هذه قراءة شاذة عن عاصم، ودعوىٰ ابن الجزري انفراد عمرو بن خالد عن عاصم بها محِلُّ نظرٍ؛ إذ رويت عن أبان عن عاصم(٢)، ونسبت لأبي حنيفة(٣)

وهذا التنوعُ الحركيُّ في صامت الدال أنتج تنوعًا صرفيًّا؛ إذ قراءة الفتح علىٰ المصدرية، وقراءة الكسر علىٰ اسم الفاعل، جاء في تاج العروس: "الغَدَق مُحرّكة: الماءُ الكثير وَإِن لم يكُ مطَرًا. وَقيل: هُوَ المطَرُ الكثيرُ العامُّ. وَقَالَ الزّجّاجُ: الغَدَقُ المَصْدر، والغَدِقُ اسمُ الفاعِل. يُقال: غَدِقَ يغدَقُ غَدَقًا، فَهُوَ غَدِقٌ: إِذا كثُر النّدىٰ فِي المَكَان أَو الماءُ"(٤)

قال أبو حيان: "﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾

(١) غاية النهاية ١/ ٦٠٠.
(٢) شواذ القرآن واختلاف المصاحف ٢/ ٨٤٩.
(٣) المغني في القراءات ٤/ ١٨٤٢.
(٤) تاج العروس (غ د ق).

[الجن:١٦]: كنايةٌ عَنْ تَوْسِعَةِ الرِّزْقِ لِأَنَّهُ أصلُ المعاشِ. وقال بَعْضُهُمْ: المالُ حيث المَاءِ.

وقرأ الجُمْهُورُ: ﴿غَدَقًا﴾[بِفَتْحِ الدَّالِ، وَعَاصِمٌ فِي رِوَايَةِ الأَعْشَىٰ: بِكَسْرِها وَيُقالُ: غَدَقَتِ العينُ تُغْدِقُ غَدَقًا فهي غَدِقَةٌ، إذا كَثُرَ ماؤها"[1]

الموضع الخامس عشر قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾ [المزمل:١٧]

قال ابن الجزري: "... عن الأشناني عن عبيد بن الصباح عن حفص ... وقد انفرد عنه ابن سوار بكسر نون ﴿تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾ [المزمل:١٧] لم يروه عنه غيره"[2]ونسبت هذه القراءة لأبي السمّال[3].

"وتتقون مُضَارِعُ اتَّقَىٰ، وَاتَّقَىٰ لَيْسَ بِمَعْنَىٰ وَقَىٰ حَتَّىٰ يُفَسِّرَهُ بِهِ، وَاتَّقَىٰ يَتَعَدَّىٰ إِلَىٰ وَاحِدٍ، وَوَقَىٰ يَتَعَدَّىٰ إِلَىٰ اثْنَيْنِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[الدخان:٥٦]، وَلِذَلِكَ قَدَّرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ: تَقُونَ أَنْفُسَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَكِنَّهُ لَيْسَ تَتَّقُونَ بِمَعْنَىٰ تَقُونَ، فَلَا يَتَعَدَّىٰ بعديته، وَدَسَّ فِي قَوْلِهِ: وَلَمْ تُؤْمِنُوا وَتَعْمَلُوا صَالِحًا الِاعْتِزَالَ. قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا، أَيْ فَكَيْفَ لَكُمْ بِالتَّقْوَىٰ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ إِنْ كَفَرْتُمْ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ بكفرتم عَلَىٰ تَأْوِيلِ جَحَدْتُمْ، أَيْ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ اللهَ وَتَخْشَوْنَهُ

(١) البحر المحيط ١٠/ ٣٠٠.
(٢) غاية النهاية ١/ ٥٦٨.
(٣) شواذ القرآن واختلاف المصاحف ٢/ ٨٥٥.

إِنْ جَحَدْتُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالجَزَاءِ؟ لِأَنَّ تَقْوَىٰ اللهِ خَوْفُ عِقَابِهِ"[1]

من هذا النص يظهر في توجيه قراءة الجمهور ثلاثة أقوال:

١-أن تتّقون مضارع اتقىٰ ينصب مفعولاً واحدًا وهو قوله: "يومًا".

٢-أن تتّقون مضارع وقىٰ، والتاء للافتعال، ينصب مفعولين، أولهما محذوف تقديره أنفسكم.

٣-أن قوله يومًا منصوب علىٰ الظرفية علىٰ معنىٰ: كيف لكم بالوقاية في ذلك اليوم؟

٤-أن قوله يومًا منصوب علىٰ تضمين الفعل كفرتم معنىٰ جحدتم.

وأما القراءة الشاذّة بكسرِ النونِ علىٰ الاجتزاء بالكسرة عن الياء، والأصل: فكيف تتقوني .. فالياء ضميرٌ مبنيٌّ علىٰ النصب في محل نصب مفعول اتقىٰ، ويكون يومًا منصوب علىٰ تضمين كفرتم معنىٰ جحدتم.

الموضع السادس عشر قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ [المدثر:٣٥]

قال ابن الجزري في ترجمة جرير بن حازم بن زيد أبو النضر الجهضمي".. أنه سمع ابن كثير يقرأ: ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ لا يهمز ولا يكسر"[2] أي: بحذف الهمزة، وهو نوع من التسهيل، وتسهيل الهمزة بالحذف نوعان: نوع تحذف فيه مع حركتها، وهو الذي يعبر عنه القراء بالإسقاط، وهو عبارة عن إسقاط الهمزة من الألف البتة، وهو أبلغ أنواع

(١) البحر المحيط ١٠/ ٣١٧.

(٢) غاية النهاية ١/ ١٩٠،

التخفيف[1]، ونوع آخر تحذف فيه الهمزة بعد نقل حركتها، وهو الذي يسمىٰ عندهم بالنقل.[2]

وقرأ العامة "لإحدىٰ" بهمزة مفتوحة، وأصلها واو، من الوحدة، وقرأ نصرُ بنُ عاصمٍ وابنُ محيصن، وتُرْوىٰ عن ابنِ كثيرٍ «لَحْدَىٰ» بحذفِ الهمزةِ، وهذا من الشُّذوذِ بحيثُ لا يُقاسُ عليه. إذ حذفت الهمزة ولم يبق ما يدلّ عليها وهو حركتها.

وتوجيهُه: أَنْ يكونَ أَبْدلها ألفًا، ثم حُذِفَتِ الألفُ لالتقاءِ الساكنَيْن، وقياسُ تخفيفِ مثلِ هذه بينها وبين الألفِ. ومعنىٰ «إِحْدَىٰ الكُبَرِ»، أي: إِحْدَىٰ الدَّواهي وَفِي تَفْسِيرِ مُقَاتِلٍ الكُبَرِ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النّارِ. وَرُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ إِنَّها أَيْ إِنَّ تَكْذِيبَهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ لَإِحْدَىٰ الكُبَرِ أَيْ لَكَبِيرَةٌ من الكبائِرِ. وقيل: أَيْ إِنَّ قِيامَ السّاعَةِ لَإِحْدَىٰ الكُبَرِ. وَالكُبَرُ: هِيَ العظائِمُ من العُقُوباتِ، قال الراجز: قال:

يـا ابنَ المُعَلَّىٰ نَزَلَـتْ إحـدىٰ داهيةُ الدهرِ وصَــمَّاءُ الغبر[3]

ويشير الموضع إلىٰ التنوع بين الجمع واسم الجمع؛ فالجمع ما يكون موضوعًا للآحاد المتكثرة باعتبار كونها كثرة لواحد مفهوم من لفظ يصح أن يكون مفردًا له، واسم الجمع وإن كان له مفرد من لفظه، إلا أن وضعه للآحاد من حيث هي آحاد، بلا ملاحظة كونها كثرة لواحد مفهوم من لفظه يصح أن يكون مفردًا له، ولهذا لا تكون أسماء الجموع

(١) شرح المفصل ١/ ١٠٧، ١٠٨.
(٢) ينظر: القصد النافع لبغية الناشئ والبارع في شرح الدرر اللوامع ص١٤٥.
(٣) من الرجز، للكذاب الحرمازي ينظر: اللسان، وأساس البلاغة (غ ب ر).

علىٰ صيغ الجمع وما لا يكون له مفرد مناسب من لفظه ويكون فيه كثرة، كالقوم والرهط فهو اسم بمعنىٰ الجمع، والنحويون نَصُّوا علىٰ أنه إذا كان اللفظ علىٰ صيغة تختص بالجموع لم يسموه اسم جمع، بل يقولون: هو جمع وإن لم يستعمل واحده، واسم الجمع مفرد اللفظ مجموع المعنىٰ، كـ ركب و سفر و حجب بدليل جواز تصغيره علىٰ صيغته، والجمع الحقيقي لا يجوز تصغيره إذا كان جمع كثرة، بل يرد إلىٰ واحده أو إلىٰ جمع قلة إن وجد، لجواز تصغير جمع القلة. وأسماء الجموع سماعية صرح به المحققون، وجمع العاقل لا يعود عليه الضمير غالبًا إلا بصيغة الجمع سواء كان للقلة أو للكثرة، وأما غير العاقل فالغالب في الكثرة الإفراد وفي القلة الجمع، والعرب تقول: الجذوع انكسرت، لأنه جمع كثرة والأجذاع انكسرن، لأنه جمع قلة كما في قوله: ..... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما[1]

(١) الكليات ٥٠٩.

ثانياً: الدراسة الصرفية:

الموضع السابع عشر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٧٠]

قال ابن الجزري في ترجمة "محمد ذو الشامة المعيطي الشامي، .. أنه كان يقرأ: ﴿إِنَّ الْبَاقِرَ يَشَّابَهُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٧٠] بألف بين الباء والقاف وتشديد الشين ورفع الهاء"(١). وهي قراءةٌ شاذّةٌ نُسبت ليحيىٰ بن يعمر وكرداب(٢) -و«البقر» .. اسمُ جنسٍ، و «الباقِرُ» بمعناه. جاء في تاج العروس: "والبَقَرَةُ مِن الأَهْلِيِّ والوَحْشِيِّ يكونُ للمذكَّر والمؤنَّث، ويَقَعُ علىٰ الذَّكَر والأُنثىٰ، وإِنّما دَخَلَتْه الهاء علىٰ أنه واحِدٌ من جنْسٍ، والجمع بَقَرٌ بحَذْف الهاءِ، وأَمّا باقِرٌ وَبَقِيرٌ وبَيْقُورٌ وباقُورٌ وباقُورَةٌ فأَسمَاءُ للجَمْع، وَقَالَ: وجمعُ البَقَرِ أَبْقُرٌ، كزَمَنٍ وأَزْمُنٍ.(٣) و«تَشَابه» جملةٌ فعلية في محلِّ رفعٍ خبرًا لإِنَّ، وقرئ(٤): «تَشَّابَهُ» مشدَّدًا ومخففًا وهو مضارعٌ، فالأصلُ: تَتَشابهُ بتاءين، فَأُدْغِمَ وحُذِفَ منه أخرىٰ، وكِلا الوجهين مَقِيسٌ. وقُرئ أيضًا: يَشَّابَهُ بالياء من تحت، وأصله يتشابه فَأُدغم أيضًا، وتذكيرُ الفعل وتأنيثُه جائزان لأن فاعلَه اسمُ جنس، وفيه لغتان: التذكيرُ والتأنيثُ، قال تعالىٰ: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[الحاقة:٧] فَأَنَّث، و﴿أَعْجَازُ

---

(١) غاية النهاية ٢/ ٢٩٠.

(٢) شواذ القرآن واختلاف المصاحف ١/ ٨٤.

(٣) تاج العروس (ب ق ر).

(٤) ذكر البيضاوي فيها أربع عشرة قراءة، وقد قام بشرحها وضبطها والوقوف علىٰ معناها مع توجيهها المحشي شيخ زاده. ينظر: البحر المحيط١/ ٢٥٣، وحاشية شيخ زاده ٢/ ٩٨.

نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] فذكَّر،.. وتَتَشَابَهُ بتاءين علىٰ الأصل، وتَشَّبَّهُ بتشديد الشين والباء من غير ألف، والأصلُ: تَتَشَبَّهُ. وتَشَّابَهَتْ، ومُتَشَابِهَة، ومُتَشَابِه، ومُتَشَبِّه علىٰ اسم الفاعل من تشابه وتَشَبَّه، وقُرئ: تَشَبَّهَ ماضيًا. وفي مصحف أُبَيّ: «تَشَّابَهَتْ» بتشديد الشين. قال أبو حاتم: «هو غلطٌ؛ لأن التاءَ في هذا الباب لا تُدْغَمُ إلا في المضارعِ»، وهو معذورٌ في ذلك. وقرئ: تَشَّابَهَ كذلك إلا أنه بطرح تاء التأنيث، ووجهُها علىٰ إشكالها أن يكونَ الأصل: إن البقرة تشابَهَتْ فالتاء الأولىٰ من البقرة والتاء الثانية من الفعل، فلمَّا اجتمع متقاربان أَدْغَم نحو: الشجرةُ.. إلا أنه يُشْكِل أيضًا في تَشَّابه من غير تاء، لأنه كان يَجبُ ثبوتُ علامةِ التأنيثِ، وجوابُه أنه مثلُ: ..... ولا أرضَ أَبْقَلَ إبْقالَها[1]

مع أن ابنَ كَيْسان لا يلتزم ذلك في السَّعَة)[2]

(١) عجز بيت، من المتقارب، لعامر بن جوين الطائي، وصدره: فلا مزنة وَدَقَتْ ودقها. ينظر: تخليص الشواهد ص٤٨٣، وخزانة الأدب ١/ ٤٥، ٤٩، ٥٠، والدرر ٢/ ٥٤٠، وشرح شواهد الإيضاح ص٣٣٩، ٤٦٠، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٤٣، والكتاب ٢/ ٤٦، ولسان العرب ٧/ ١١١ (أ ر ض)، ١١/ ٦٠ (ب ق ل).

(٢) الدر المصون ١/ ٤٢٦.

الموضع الثامن عشر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨]

قال ابن الجزري في ترجمة حماد بن سلمة بن دينار: "... هو الذي روىٰ عن ابن كثير أنه قرأ ﴿أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٧]، ﴿يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٨] جميعًا بغير ألف علىٰ التوحيد تفرد في الثاني كذلك عن ابن كثير "[1] والمتواتر عن ابن كثير إفراد مساجد في الموضع الأول من سورة التوبة، وهو قوله تعالىٰ: ﴿أَن يَعْمُرُوا۟ مَسْجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٧]، واتفق العشرة علىٰ الجمع في الموضع الثاني، وهو قوله تعالىٰ: ﴿يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، قال ابن الجزري: اخْتَلَفُوا فِي ﴿أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، فَقَرَأَ البَصْرِيَّانِ، وَابْنُ كَثِيرٍ (مَسْجِدَ اللهِ) عَلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَقَرَأَ البَاقُونَ بِالجَمْعِ[2] وأما القراءة بإفراد الموضع الثاني فقراءة شاذة نسبت لابن محيصن والجحدري ومجاهد والشافعي[3]، وهي رواية حماد بن سلمة عن ابن كثير[4]، وتوجيه القراءتين يرجع إلىٰ التنوع الصرفيِّ بين الإفراد والجمع فـ "الإفراد يحملُ وجهين: أن يُراد به مسجدٌ بعينه، وهو المسجد الحرام لقوله: ﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾

(١) غاية النهاية ١/ ٢٥٨.
(٢) النشر ٢/ ٢٧٨.
(٣) شواذ القرآن واختلاف المصاحف ١/ ٢٢٣.
(٤) السبعة لابن مجاهد ص ٣١٣.

[التوبة:١٩]، وأن يكون اسمَ جنسٍ فتندرج فيه سائرُ المساجد، ويدخل المسجد الحرام دخولًا أَوَّلِيًّا"[١]

وَحُجَّةُ مَنْ قَرَأَ عَلَى لَفْظِ الجَمْعِ وُجُوهٌ:

الأوّلُ: أنْ يُرادَ المَسْجِدُ الحرامُ، وإنّمَا قيل: مساجِدَ؛ لِأنّهُ قِبْلَةُ المساجِدِ كُلِّها وإمامُها، فعامِرُهُ كعامِرِ جَمِيعِ المساجِدِ.

والثّانِي: أنْ يُقال: ما كانَ لِلمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللهِ مَعْنَاهُ: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾، وإذا كانَ الأمْرُ كذلِكَ، فَأَوْلَىٰ أَنْ لَا يُمَكَّنُوا مِنْ عِمارَةِ المَسْجِدِ الحَرامِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ المَساجِدِ وَأَعْظَمُهَا.

الثَّالِثُ: قَالَ الفَرَّاءُ: العَرَبُ قَدْ يَضَعُونَ الوَاحِدَ مَكَانَ الجَمْعِ وَالجَمْعَ مَكَانَ الوَاحِدِ أَمَّا وَضْعُ الوَاحِدِ مَكَانَ الجَمْعِ فَفِي قَوْلِهِمْ: فُلَانٌ كَثِيرُ الدِّرْهَمِ وَأَمَّا وَضْعُ الجَمْعِ مَكَانَ الوَاحِدِ فَفِي قَوْلِهِمْ فُلَانٌ يُجَالِسُ المُلُوكَ مَعَ أَنَّهُ لَا يَجْلِسُ إِلَّا مَعَ مَلِكٍ وَاحِدٍ.

الرّابِعُ: أَنَّ المَسْجِدَ مَوْضِعُ السُّجُودِ، فَكُلُّ بُقْعَةٍ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَهِيَ مسجد.[٢]

واتفاق القراءات المتواترة عَلَىٰ الجَمْعِ في الموضع الثَّانِي ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ جَمِيعَ المَسَاجِدِ[٣] قال السمين الحلبي: والظاهر هنا أن الجمعَ هنا حقيقةٌ، لأن المرادَ جميع المؤمنين العائدين

---

(١) الدر المصون ٦/ ٢٩.

(٢) مفاتيح الغيب ١٦/ ٩.

(٣) النشر ٢/ ٢٧٨.

لجميع مساجد أقطار الأرض.[1] وإذا قرئَ علىٰ الجمع دخل المسجِد الحرام فيه وغير المسجِد الحرام وإذا قرئَ علىٰ التَّوْحِيد لم يدخل فِيهِ غير المسجِد الحرام وإنّمَا عني بِهِ المسجد الحرام فَحسب[2]

الموضع التاسع عشر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر:٥٤]

قال ابن الجزري: قال أبو بكر بن عياش كان الفرقبي[3] يقرأ ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنُهُرٍ﴾ قال يريد جمع نهر"[4]

هذه قراءة شاذة نسبت إلىٰ زهير الفرقبي والأعمش وأبي نهيك وأبي مجلز واليماني والزعفراني وأبي السمال والأعرج وطلحة بن مصرف وابن محيصن[5]

وقرأ الجمهور "وَنَهَر" علىٰ الإفراد، والهاء مفتوحة. وقرأ الأعرج

---

(١) الدر المصون ٦/ ٣١.

(٢) حجة القراءات لابن زنجلة ص٣١٦، وإبراز المعاني ص١٥٨.

(٣) زهير بن ميمون الفرقبيّ الهمذاني، أبو محمد النحويّ الكوفيّ، يعرف بالكسائي، أخذ علمه عن أبي الأسود الدؤلي، كان إمامًا في النحو والقراءات وأشعار العرب والأنساب، له اختيار في القراءة، ويروىٰ عنه، وكان في زمن عاصم، توفي سنة ١٥٥ هـ. ينظر: إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة ٢/ ١٨، ١٩، غاية النهاية ١/ ٢٩٥، ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب ص ١٩١.

(٤) غاية النهاية ١/ ٢٩٥.

(٥) ينظر: شواذ القرآن واختلاف المصاحف ٢/ ٧٧٩، والمحتسب ٢/ ٣٠٠، والكشف والبيان ٩/ ١٧٤، والبحر المحيط ٨/ ١٨٤، وإيضاح الرموز ص ١٣٤.

ومجاهد وحميد وأبو السمّال والفياض بن غزوان بسكونها.(١)

والقراءة بالإفراد يراد بها الجنس إن أريد به الأنهار، أو يكون بمعنىٰ "ونهر" وسعة في الأرزاق والمنازل.

وأما قراءة "وَنُهُر" بضم النون والهاء جمع "نَهْرٍ" كرُهُن ورَهْن، أو "نَهَر" كأُسُد وأَسَد ففيها من الدلالة ما يأتي:

الدلالة الصوتية: أن قراءة الجمع إنما هي من قبيل الإتباع، قال ابن جني: "وإن شئت قلت في "نُهُر": إنه جمع نَهْرٍ الساكن العين، فيكون كسَقْفٍ وسُقُف، ورَهْنٍ ورُهُن،.. ثقل إتباعًا، فصارت إلىٰ "نُهُر".

وفي هذا الوجه أيضًا اتساق للفواصل، وأنس بذلك أن ما قبل الراء في أواخر هذه الآي، وهي "سقر"، و"قدر"، و"نكر"، و"مدكر"، و"زبر"، و"مستطر"، و"مقتدر". كما يختار ترك همز "الشان" في سورة الرحمن؛ لتوافق رءوس الآي فيها: "تكذبان"، ونحوها، وإليه ذهب الفراء.(٢)

الدلالة الصرفية:

أثبتت القراءة الشاذة أن "نُهُر" بضم النون والهاء أحد جموع النهر، وهو مجرىٰ الماء؛ حيث إن أوسع المعاجم العربية وهو "تاج العروس" لم يذكر هذا الجمع، قال الزبيدي: "النَّهْرُ، بِالْفَتْح ويُحَرَّكُ: مَجرىٰ الماءِ، وَهَذَا قَول الأَكثر، وَقيل هُوَ الماءُ نفسُه، وصريح الْمِصْبَاح

---

(١) ينظر: مختصر الشواذ ص ١٤٨، والمحتسب ٢/ ٣٠٠، والدر المصون ٦/ ٢٣٤، وحاشية الشهاب ٨/ ١٢٩.

(٢) المحتسب ٢/ ٢٩٩.

أَنَّه حقيقةٌ فِي الماءِ مَجازٌ فِي الأُخدود، قَالَه شيخُنا. ج أَنهارٌ ونُهْرٌ، بضَمٍّ فَسُكُون، ونُهورٌ وأَنْهُرٌ." (١)

الدلالة المعنوية:

أ. القراءة الشاذة "ونُهُر" تتقابل لفظيّا ودلاليًّا مع قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴾ القمر:٤٧.

ففيه مقابلة الجمع بالجمع، (نُهُر، وسُعُر)، ويقطّعان صوتيًّا إلىٰ مقطعين متساويين:

نُهُر [صح صح ص]، وسُعُر [صح صح ص]

فكأن الرغبة في استواء هذه الفواصل هو الذي زاد في الأنس بتثقيل "النهر" علىٰ هذا التأويل الذي في "نهر". (٢)

ب. قيل "نُهُر" جمع نهار، كسُحُب وسحاب، والمراد أن نهارهم دائم، لا ليل عندهم، ولا ظلمة هناك. (٣)

ذهب ابن عطية إلىٰ أن معناه: النهار، وأن ذلك سائغ لفظًا لكنه قلِق معنًىٰ، قال: "وقرأ زهير الفرقبي والأعمش "ونُهُر" بضم النون والهاء، علىٰ أنه جمع نهار؛ إذ لا لَيْلَ في الجنة، وهذا سائغ في اللفظ قلق في المعنىٰ، ويحتمل أن يكون جمع نهر"(٤)، ووافقه علىٰ ذلك الرازي(٥)

---

(١) تاج العروس (ن هـ ر).

(٢) ينظر: المحتسب ٢/ ٣٠٠.

(٣) ينظر: حاشية الشهاب ٨/ ١٢٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢.

(٥) مفاتيح الغيب ٢٩/ ٣٣٢.

ج. جاء جمع النهر علىٰ أنهار في القرآن (٥١) إحدىٰ وخمسين مرة، منها ما يتقارب دلاليًّا مع الآية معنا، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ ﴾ الرعد:٣٥، وقوله تعالىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ محمد:١٥، ولم يجمع علىٰ نُهُر إلا في هذه القراءة الشاذة، وجاء مفردًا في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالىٰ: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ الكهف: ٣٣.

ولعل اصطفاء هذا الجمع بهذا التنوع القرائي للإشارة إلىٰ الدلالات السابقة (الاتساق الصوتي – الدلالة علىٰ جمع نهر الماء علىٰ نُهُر – جمع النهار بمعنىٰ الضوء)، وهذا من إعجاز القرآن الكريم.

الموضع العشرون قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن:٧٦]

عن ابن لهيعة قال: سمعت أبا طعمة يقرأ: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفَارِيفَ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن: ٧٦][1]

نسبت هذه القراءة إلىٰ النبي ﷺ وعثمان ونصر بن علي والجحدري وأبي الجلد ومالك بن دينار وأبي طعمة وابن محيصن وزهير الفرقبي:

(١) غاية النهاية ٢/ ٣٥٧.

"رَفْارَفٍ خُضْرٍ وَعَبْاقَرِيٍّ حِسَانٍ.."[1]،

رفارف صيغة من صيغ منتهىٰ الجموع، وهي غير منصرفة، قد تحتمل وجه الصواب، أما العباقري فقد اعترض عليها بعضهم، قال الفراء(ت٢٠٧هـ): "الرفارف قد يكون صوابًا، وأما العباقري فلا؛ لأنّ ألفَ الجمعِ لا يكون بعدها أربعة أحرف ولا ثلاثة صحاح"[2]

لكن أبا الفتح ابن جني أبىٰ القول بخطئها، وحاول جاهدًا تخريجها: "قال أبو الفتح: كذلك رويته عن قطرب: "عَبَاقِرِيّ"، بكسر القاف غير مصروف. ورويناه عن أبي حاتم: "عَبْاقَرِيٍّ"، بفتح القاف غير مصروف أيضًا. قال أبو حاتم: ويشبه أن يكون عباقِر بكسر القاف علىٰ ما يتكلم به العرب، قال: ولو قالوا: عباقري، فكسروا القاف وصرفوا لكان أشبه بكلام العرب، كالنسب إلىٰ مدائن مدائني، .."[3]

وعندما يتعرض لترك الصرف في كلمة "عباقري" فإنه يحدّد هذا الشذوذ بأنه شاذ في القياس مع استمراره في الاستعمال، يقول: "وأما ترك صرف "عباقري" فشاذٌّ في القياس، ولا يُستنكَر شذوذُه في القياس مع استمراره في الاستعمال، كما جاء عن الجماعة: ﴿اَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾[المجادلة:١٩]، وهو شاذٌّ في القياس مع استمراره في الاستعمال. نعم، إذا كان قد جاء عنهم عنكبوت وعناكبيت، وتخربوت

(١) المحتسب ٢/ ٣٠٤، وشواذ القرآن واختلاف المصاحف ٢/ ٧٨٧، والمغني لابن الدهان ١/ ١٧٤٨.

(٢) معاني القرآن للفراء٣/ ١٢٠، ١٢١.

(٣) المحتسب ٢/ ٣٠٦.

وتخاربيت - كان عباقريٌّ أسهلَ منه؛ من حيث كان فيه حرفٌ مشدّدٌ، يكاد يجري مجرىٰ الحرف الواحد، ومع ذلك أنه في آخر الكلمة، كياءَيْ بخاتي وزرابي، وليس لنا أن نتلقىٰ قراءة رسول الله ﷺ إلا بقبولها، والاعتراف لها". (١)

وهذا كلامٌ نفيسٌ، يجب أن يعض عليه بالنواجذ، وهو من فتح الله علىٰ أبي الفتح. أن يوفَّق لقول مثل هذا.

ولقد ذكر القرطبي آراء متعددة في كلمة "عباقري"، منها:

-عبقرىٰ: جمعٌ واحده عبقرية، والعباقر جمع الجمع.

-عبقرىٰ: واحدٌ وجمعٌ.

-نقل عن أحدهم قوله: "وقرأ بعضهم (عباقري)، وهو خطأٌ؛ لأن المنسوب لا يجمع علىٰ نسبته، ثم نقل عن قطرب: ليس بمنسوب.

الموضع الحادي والعشرون قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة:٥٨]

قال ابن الجزري في ترجمة حماد بن سلمة بن دينار ... روىٰ عن ابن كثير أيضًا ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُلَامِزُكَ ﴾ بالألف تفرد بذلك عنه أيضًا"(٢)

هذه القراءة المروية عن ابن كثير غير متواترة، وهي إحدىٰ ثلاث روايات عن ابن كثير: الأولىٰ: "يَلْمُزُك"، وهي القراءة المتواترة. الثانية:

(١) السابق نفسه.

(٢) غاية النهاية ١/ ٢٥٨.

"يُلْمِزُك". الثالثة: "يُلامِزُك"، وكلتاهما غير متواترة.(١)

أما القراءة الأولىٰ وهي قراءة "العامة «يلمِزك» بكسر الميم مِنْ لَمَزه يَلْمِزه، أي: عابه، وأصله الإشارة بالعين ونحوها. قال الأزهري(ت٣٧٠هـ): «أصلُه الدفع، لَمَزْته: دفعته»(٢)، وقال الليث: «هو الغَمْز في الوجهِ ومنه هُمَزَةٌ لُمَزَة، أي: كثيرُ هذين الفعلين. ويُلْمِزُك مِنْ أَلْمز رباعيًا. ويُلامِزُك علىٰ المفاعلة من واحدٍ، كسافرَ وعاقَب.(٣) فإن "فاعل" وإن كان من اثنين في الغالب دالًّا علىٰ المشاركة إلا أن ثمة أفعال علىٰ هذا البناء لا تدل علىٰ المشاركة، بل تدل علىٰ معنىٰ (فَعَلَ)، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [التوبة:٣٠]، [المنافقون:٤]. قال أبوعبيد الهروي: "وسبيل (فَاعَلَ) أن يكون من اثنين، وربما يكون من واحدٍ، كقولك: سافرتُ وطارقتُ النعلَ"(٤)

الموضع الثاني والعشرون قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ [الإسراء:١٦]

قال ابن الجزري في ترجمة أبي العباس الكوفي .. هو الراوي عن أبي عمرو ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء:١٦] مشدّدًا.(٥) هذه القراءة الشاذة

(١) شواذ القرآن واختلاف المصاحف ١/ ٢٣٤.
(٢) تهذيب اللغة باب الزاي واللام.
(٣) الدر المصون ٦/ ٧١.
(٤) الغريبين ٥٧٩.
(٥) غاية النهاية ١/ ٦١٧.

المنسوبة لأبي عمرو نسبت أيضًا إلىٰ علي ﷺ (ت٤٠هـ)، وأبي عثمان النهدي (ت ٩٥هـ)، وأبي رجاء(ت١٠٥هـ)، وأبي العالية (ت٩٠هـ)، والربيع(ت٦١هـ)، ومجاهد(١٠٣هـ)، والحسن(ت١١٠هـ).(١)

والمعنىٰ: سَلَّطنا شِرارها فَعَصَوْا فِيها، فَإذا فَعَلُوا ذَلِكَ أَهْلَكْنَاهُمْ. وَقَالَ أَبُو عثمان النهدي(ت٩٥هـ): جعلناهم أُمَرَاءَ مُسَلَّطِينَ، ... وَتَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ تَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ(٢).

قال أبو حيان(ت٧٤٥هـ): «عُدِّيَ (أَمَرَ) بِالتَّضْعِيفِ، وَالمَعْنَىٰ أَيْضًا: كَثَّرْنا، وَقَدْ يَكُونُ (أَمَّرْنا) بِالتَّشْدِيدِ، بِمَعْنَىٰ: وَلَّيْنَاهُمْ وَصَيَّرْنَاهُمْ أُمَرَاءَ. وَاللَّازِمُ مِنْ ذَلِكَ أُمِّرَ فلانٌ إذا صارَ أَمِيرًا، أَيْ: وَلِيَ الأَمْرَ»(٣).

وأما قراءة الجمهور﴿أَمَرْنَا﴾ مخفّفة، على وزن «فَعَلْنا»، ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّه من الأمر، وفي الكلام إِضمار، تقديره: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا...قال الزجاج(ت٣١١هـ): ومثله في الكلام: أمرتك فعصيتني، فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر.

والثاني: كثَّرنا، يقال: أمرت الشيء وآمرته، أي: كثَّرته، ومنه قولهم: مُهرَةٌ مأمورةٌ، أي: كثيرة النِّتاج، يقال: أَمِر بنو فلان يأمَرون أمرًا: إِذا كثروا.

---

(١) المحتسب ٢/ ١٦، والجامع لأحكام القرآن١٠/ ٢٣٣، والبحر المحيط ٧/ ٢٧، وزاد المسير ٣/ ١٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٣٣.

(٣) البحر المحيط ٧/ ٢٧.

والثالث: أن معنىٰ ﴿أَمَرْنَا﴾: أَمَّرْنا، يقال: أَمرت الرجل، بمعنىٰ: أَمَّرته، والمعنىٰ: سلَّطنا مترفيها بالإمارة[1].

وقرأ يعقوبُ ﴿آمَرْنَا﴾ بِمَدِّ الهَمْزَةِ، وهي قراءة عشرية[2]. أَيْ: أَكْثَرْنا جَبابِرَتها وَأُمَراءَها، قالَهُ الكِسائِيُّ(ت١٨٩هـ). وَقال أَبُو عُبَيْدَةَ(ت٢١٠هـ): آمَرْتُهُ بِالمَدِّ وَأَمَّرْتُهُ، لُغَتَانِ بِمَعْنَىٰ كَثَّرْتِهِ[3]. وقال السمرقندي(ت٣٧٣هـ): «﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أي: أكثرنا جبابرتها، يقال: أَمَرَ إِذَا أكثر، وآمَرَ إذا أكثر، وهما لغتان»[4]. واختارَ أَبُو عُبَيْدٍ (ت٢٢٤هـ) وَأَبُو حاتِمٍ (ت٢٥٥هـ) قِراءَةُ العامَّةِ. قال أَبو عُبَيْدٍ (ت٢٢٤هـ): وَإِنَّما اخْتَرْنا﴿أَمَرْنَا﴾ لِأَنَّ المعانِيَ الثَّلَاثَةَ تَجْتَمِعُ فِيها مِنَ الأَمْرِ وَالإِمَارَةِ وَالكَثْرَةِ.[5].

قال البغوي(ت٥١٠هـ): «﴿أَمَّرْنَا﴾ بِالتَّشْدِيدِ أَيْ: سَلّطنا شِرارَها فَعَصَوْا ... وَيَعْقُوبُ ﴿آمَرْنا﴾ بِالمَدِّ، أَيْ: أَكْثَرْنَا، وَقَرَأَ الباقُون مَقْصُورًا مُخَفَّفًا، أَيْ: أَمَرْنَاهُمْ بِالطَّاعَةِ فَعَصَوْا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ جَعَلْنَاهُمْ أُمَرَاءَ وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَىٰ أَكْثَرْنَا، يُقَالُ: أَمَّرَهُمُ الله أي كثرهم الله»[6].

---

(١) زاد المسير٣/ ١٦، وينظر: مفاتيح الغيب ٢٠/ ٣١٣.
(٢) النشر ٢/ ٣٠٦.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٣٣.
(٤) بحر العلوم ٢/ ٣٠٥.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٣٣.
(٦) معالم التنزيل للبغوي ٣/ ١٢٤.

الموضع الثالث والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٧٦]

قال ابن الجزري في ترجمة "محمد بن عبد الله أبو عبد الله المؤدب البروجردي.. انفرد بتشديد ﴿لا يلبّثون﴾ في [الإسراء: ٧٦]"(١) وفي الإتحاف: ".. روح من طريق العلاف عن أصحابه عن المعدل عن ابن وهب عنه ﴿لا يلبّثون﴾ بضم الياء وفتح اللام وتشديد الباء، وهي انفرادة للعلاف خالف فيها جميع سائر أصحاب روح وأصحاب المعدل وأصحاب ابن وهب"(٢)، وفي الدر المصون "قرأ عطاء ﴿لا يُلَبَّثُونَ﴾ بضمِّ الياء وفتحِ اللام والباء، مشددةً مبنيًّا للمفعول، مِن لَبَّثَه بالتشديد. وقرأها يعقوب كذلك إلا أنه كسرَ الباءَ، جَعَلَه مبنيًّا للفاعل.(٣)

وصيغة فعّل لها وظيفة معنوية ليست موجودة في فعَل عاريًا عن التشديد، فزيادة حرف علىٰ بناء الفعل له أثره الجليّ في إضفاء معنىٰ المبالغة عليه، لأن زيادة المبنىٰ تؤدي -في الغالب-إلىٰ زيادة المعنىٰ، فكأنهم وجدوا في تكرير عين الفعل دليلًا علىٰ تكرير الفعل، وفي قوة

---

(١) غاية النهاية ٢/ ١٩٠.

(٢) إتحاف فضلاء البشر ١/ ٣٦٠.

(٣) الدر المصون ٧/ ٣٩٣. وينظر: تخريج القراءات الثلاث في المغني في القراءات ٣/ ١١٤٠.

اللفظ تعبيرًا عن قوة الفعل[١]، ولعل قراءة التشديد تفيد المبالغة في الأخذ بقوة علىٰ أيديهم إن استفزوك ليخرجوك من مكة لم يُمهلوا فيها بعدك إلا زمنًا قليلًا يُستأصلون من بعده، وقد كان في بدر.[٢]

الموضع الرابع والعشرون: قوله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥٢] لا يُضِل، بضم الياء.

قال ابن الجزري في ترجمة "موسىٰ بن مسعود أبي حذيفة النهدي .. روىٰ عنه أحمد بن حرب ثم روىٰ عنه عن شبل عن ابن كثير وابن محيصن أنهما قرآ "فِي كِتَٰبٍ لَّا يُضل ربي" [طه: ٥٢] بضم الياء"[٣]

وهذه قراءة شاذة نسبت للحسن وابن محيصن والجحدري والثقفي[٤] وحماد بن سلمة.[٥]

وفي قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ وجهان، أحدهما: أنها في محلِّ جرٍّ صفة لـ «كتاب»، والعائدُ محذوفٌ، تقديرُه: في كتاب لا يَضِلُّه ربي، أو لا يَضِلُّ حِفْظَه ربي، فـ «ربي» فاعل «يَضِلُّ» علىٰ هذا التقدير، وقيل: تقديرُه: الكتابَ ربي. فيكون في «يَضِلُّ» ضميرٌ يعود علىٰ «كتاب»، وربي منصوبٌ علىٰ التعظيمِ. وكان الأصلُ: عن ربي، فحُذِفَ الحرفُ اتِّساعًا،

(١) ينظر: الخصائص ٢/ ١٥٧.
(٢) ينظر: تفسير الطبري ١٧/ ٥١٠، ٥١١.
(٣) غاية النهاية ٢/ ٣٢٣.
(٤) المغني في القراءات ٣/ ١٢٣٠.
(٥) الدر المصون ٨/ ٤٩.

يُقال: ضَلَلْتُ كذا وضَلَلْتُه بفتح اللام وكسرها، لغتان مشهورتان وشُهراهما الفتحُ. الثاني: أنها مستأنفةٌ لا محلَّ لها من الإعراب ساقها تبارك وتعالىٰ لمجرد الإخبارِ بذلك حكايةً عن موسىٰ.

وأما القراءة الشاذة «لا يُضِلُّ» بضم الياء أي: لا يُضِلُّ ربي الكتابَ أي: لا يُضَيِّعه يقال: أَضْلَلْتُ الشيءَ أي: أضعتُه.

فـ «ربي» فاعلٌ علىٰ هذا التقدير. وقيل: تقديرُه: لا يُضِلُّ أحدٌ ربي عن علمه أي: عن علم الكتاب، فيكون الربُّ منصوبًا علىٰ التعظيم.

وفرَّق بعضُهم بين ضَلَلْتُ وأَضْلَلْت فقال: «ضَلَلْتُ منزلي»، بغير ألفٍ، و«أَضْلَلْت بعيري» ونحوَه من الحيوان بالألفِ. نقل ذلك الرمانيُّ عن العرب، وقال الفراء: «يقال: ضَلَلْتُ الشيءَ إذا أَخطأْتَ في مكانه وضَلِلْتُ لغتان، فلم تهتدِ له، كقولك: ضَلَلْتُ الطريقَ والمنزلَ ولا يُقال: أَضْلَلْتُه إلاَّ إذا ضاع منك كالدَّابة انفلَتَتْ، وشبهِها.[1]

الموضع الخامس والعشرون: قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان:١٦]

قال ابن الجزري: "أبو هاشم الليثي المكي .. وردت الرواية عنه في حروف القرآن .. من ذلك قراءته ..﴿قُدِّروها﴾ [الإنسان: ١٦] بضم القاف.[2]

هذه القراءة نسبت إلىٰ عَلِيٍّ وابنِ عبّاسٍ والسُّلَمِيِّ والشَّعْبِيِّ وابنِ

(١) الدر المصون ٨/ ٤٩.

(٢) غاية النهاية ١/ ٤٣١.

أَبْزَىٰ وقتادَةَ وزَيْدٍ بنِ عَلِيٍّ والجحدريِّ وعبدِ اللهِ بنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ وأَبي حَيْوَةَ وعباس عن أبان، وَالأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَابْنِ عَبْدِ الخَالِقِ عَنْ يَعْقُوبَ.(١)

وَقَرَأ الجُمْهُورُ: ﴿قَدَّرُوهَا﴾ مَبْنِيًّا لِلفاعِلِ، والضَّمِيرُ لِلمَلَائِكَةِ، أَوْ للطواف عليهم، والمُنَعَّمِينَ، وَالتَّقْدِيرُ: عَلَىٰ قَدْرِ الأَكُفِّ، أَوْ عَلَىٰ قَدْرِ الرِّيِّ.

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: ﴿قَدَّرُوهَا﴾ صفة لقوارير مِنْ فِضَّةٍ، وَمَعْنَىٰ تَقْدِيرِهِمْ لَهَا أَنَّهُمْ قَدَّرُوهَا فِي أَنْفُسِهِمْ عَلَىٰ مَقادِيرَ وَأَشْكالٍ عَلَىٰ حَسَبِ شَهَواتِهِمْ، فَجَاءَتْ كَمَا قَدَّرُوهَا. وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلطَّائِفِينَ بِهَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: وَيُطافُ عَلَيْهِمْ، عَلَىٰ أَنَّهُمْ قَدَّرُوا شَرَابَهَا عَلَىٰ قَدْرِ الرِّيِّ، وَهُوَ أَلَذُّ الشَّرَابِ لِكَوْنِهِ عَلَىٰ مِقْدَارِ حَاجَتِهِ، لَا يَفْضُلُ عَنْهَا وَلَا يَعْجِزُ. وَعَنْ مُجاهِدٍ: لَا يَفِيضُ وَلَا يَغِيضُ.

قال أَبُو عَلِيٍّ: كَأَنَّ اللَّفْظَ قَدَرُوا عليها، وفِي المَعْنَىٰ قَلبٌ لِأَنَّ حَقِيقَةَ المَعْنَىٰ أَنْ يُقَالَ: قُدِّرَتْ عَلَيْهِمْ، فَهِيَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦]، وَمِثْلُ قَوْلُ العَرَبِ: إِذَا طَلَعَتِ الجَوْزَاءُ أَلقَىٰ العَوْدُ عَلَىٰ الحِرْبَاءِ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَوَجْهُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَدَرَ مَنْقُولًا مِنْ قُدِّرَ، تَقُولُ: قَدَّرْتُ الشَّيْءَ وَقَدَّرَنِيهِ فُلَانٌ إِذَا جَعَلَكَ قادِرًا عَلَيْهِ، وَمَعْنَاهُ: جُعِلُوا قَادِرِينَ لَهَا كَمَا شَاءُوا، وَأَطْلَقَ لَهُمْ أَنْ يُقَدِّرُوا عَلَىٰ حَسَبِ مَا اشْتَهَوْا.

(١) – ينظر: المغني في القراءات لابن الدهان ٤/ ١٨٦٥.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قُدِّرَتِ الأَوَانِي عَلَىٰ قَدْرِ رِيِّهِمْ، فَفَسَّرَ بَعْضُهُمْ قَوْلَ أَبِي حَاتِمٍ هَذَا، قَالَ: فِيهِ حَذْفٌ عَلَىٰ حَذْفٍ، وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ قُدِّرَ عَلَىٰ قَدْرِ رِيِّهِمْ إِيَّاهَا، ثُمَّ حُذِفَ عَلَىٰ فَصَارَ قَدْرُ رِيِّهِمْ مَفْعُولٌ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، ثُمَّ حُذِفَ قُدِّرَ فَصَارَ رِيُّهُمْ قَائِمًا مَقَامَهُ، ثُمَّ حُذِفَ الرِّيُّ فَصَارَتِ الوَاوُ مَكَانَ الهَاءِ وَالمِيمِ لَمَّا حُذِفَ المُضَافُ مِمَّا قَبْلَهَا، وَصَارَتِ الوَاوُ مَفْعُولُ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَاتَّصَلَ ضَمِيرُ المَفْعُولِ الثَّانِي فِي تَقَدُّرِ النَّصْبِ بِالفِعْلِ بَعْدَ الوَاوِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ مِنَ الهَاءِ وَالمِيمِ حَتَّىٰ أُقِيمَتْ مَقَامَ الفَاعِلِ. انْتَهَىٰ. وَالأَقْرَبُ فِي تَخْرِيجِ هَذِهِ القِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ أَنْ يَكُونَ الأَصْلُ قُدِّرَ رِيُّهُمْ مِنْهَا تَقْدِيرًا، فَحَذَفَ المُضَافَ، وَأُقِيمَ الضَّمِيرُ مَقَامَهُ فَصَارَ التَّقْدِيرُ: قُدِّرُوا مِنْهَا ثُمَّ اتُّسِعَ فِي الفِعْلِ فَحُذِفَتْ مِنْ وَوَصَلَ الفِعْلَ إِلَىٰ الضَّمِيرِ بِنَفْسِهِ فَصَارَ قُدِّرُوهَا، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا حَذْفُ مُضَافٍ وَاتِّسَاعٌ فِي المَجْرُورِ.(١)

وفي القرطبي: "﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قراءة العامّة بفتح القاف والدال؛ أي قدّرها لهم السقاة الذين يطوفون بها عليهم. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: أتوا بها علىٰ قدر رِيّهم، بغير زيادة ولا نقصان، وذلك ألذّ وأشهىٰ؛ والمعنىٰ: قدرتها الملائكة التي تطوف عليهم. وعن ابن عباس أيضا: قدروها علىٰ ملء الكف لا تزيد ولا تنقص، حتىٰ لا تؤذيهم بثقل أو بإفراط صغر. وقيل: إن الشاربين قدروا لها مقادير في أنفسهم علىٰ ما اشتهوا وقدروا. وقرأ عبيد بن عمير والشعبي وابن سيرين ﴿قُدِّروها﴾ بضم القاف وكسر الدال؛ أي جعلت لهم علىٰ قدر إرادتهم. وذكر هذه القراءة المهدوي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما؛ وقال: ومن قرأ

(١) البحر المحيط ١٠/ ٤٦٣.

"قدروها" فهو راجع إلىٰ معنىٰ القراءة الأخرىٰ، وكأن الأصل قدروا عليها فحذف الجر؛ والمعنىٰ قدرت عليهم؛ .. وقيل: هذا التقدير هو أن الأقداح تطير فتغترف بمقدار شهوة الشارب؛ وذلك قوله تعالىٰ: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي لا يفضل عن الري ولا ينقص منه، فقد ألهمت الأقداح معرفة مقدار ري المشتهىٰ حتىٰ تغترف بذلك المقدار. (١)

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ١٤١.

الخاتمة

وأخيرًا، تمخّض عن البحث جملة من النتائج، تمثل أهمها فيما يأتي:

١-القراءات الشاذةُ تسير جَنْبًا إلىٰ جنبٍ مع القراءات المتواترة في استكناه النّكات اللغوية، والإشارات الدلالية، والأحكام الشرعية.

٢-يجمع المتقدمون في كتبهم بين علوم شتىٰ، وإن قصدوا التأليف في باب من الأبواب، مما ينبئ عن موسوعيتهم، وعدم محدودية علمهم عند التخصص في فنٍّ واحدٍ؛ مما يدفع اللغويين للتنقيب في كتب التراث دون نظر للموضوع الرئيس الذي تخصص فيه.

٣-يعد ابن الجزري -بحق-موسوعة علمية في كل ما يتعلق بعلوم القراءات.

٤-القراء العشرة جمعُوا كثيرًا من الروايات حوت المتواتر والشاذ، وإن قصروا اختيارهم علىٰ المتواتر الذي أجمعت عليه الأمة؛ فلقد كانت أغلب مواضع الدراسة منسوبة إلىٰ أحد القراء العشرة ورواتهم.

٥-ما ذكره ابن الجزري من انفراد أبي معمر المِنقري برواية قراءة ﴿مَلِكِ﴾[الفاتحة:٤] بسكون اللام عن أبي عمرو فيه نظرٌ؛ إذْ إنّ ابن الدهّان ذكر أنها رواية ابن ميسرة وعبد الوهاب وعبد الوارث عن أبي عمرو، إلا أن يحمل كلام ابن الجزري علىٰ انفراده عن عبد الوارث وليس عن أبي عمرو.

٦-يحتاج حقل القراءات الشاذة إلىٰ مزيد عناية ودرس للوقوف علىٰ

ما حوت من أسرار ودلالات.

٧-القراءات الشاذة قد تفرُّ -أحيانًا- من الضمة قبل الواو إلىٰ الكسر، كما في قراءتي "صوركم" في قوله سبحانه: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤، والتغابن:٣] بضم الصاد وكسرها.

من أهم مصادر البحث

١. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي (ت٥٩٠هـ) تأليف الإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي (ت٦٦٥هـ) تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢. إتحاف فضلاء البشر لـ أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بـ "البنّاء"، تحقيق أنس مهرة الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م. دار القلم. دمشق. سورية. وطبعة عالم الكتب. جزآن. بتحقيق د. شعبان محمد إسماعيل. الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٣. أسباب وجود القراءات الشاذة وهو بحث للدكتور أحمد شكري منشور في مجلة: دراسات، التي تصدرها عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية مجلد٢٨، عدد٢، ٢٠٠١م.

٤. إعراب القراءات الشواذ أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) حققه وضبطه د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥. إعلام أهل البصائر بما أورده ابن الجزريّ من العلوم والذخائر، لـ أ.د عمر عبد الغني يوسف حمدان. بحث نشر في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد الخامس جمادىٰ الآخرة ١٤٢٩هـ.

٦. الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي، تحقيق دكتور حمد عبد الفتاح،

٧. تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة. محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري. (ت٨٣٣هـ)، كتب هوامشه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

٨. التحرير والتنوير «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر. تونس ١٩٨٤هـ.

٩. التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد زين الدين بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥هـ) دراسة وتحقيق د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولىٰ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٠. تعليل القراءات الشاذة للعكبري، علي بن حسين البواب، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ١٢ (١٤٠٢هـ).

١١. تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ. عادل أحمد عبد الموجود. والشيخ. علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٢. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت الطابعة الأولي، ٢٠٠١م.

١٣. جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (ت ٣١٠هـ) دار الفكر. بيروت. ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٤. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ). راجعه وضبطه وعلق عليه د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٥. حجة القراءات للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٦. الحجة في القراءات السبع للإمام ابن خالويه تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠م.

١٧. الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبوبكر بن مجاهد: تصنيف أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي(ت٣٧٧هـ)، حققه بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني، راجعه ودققه عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث.

١٨. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي(ت٧٥٦هـ)، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، طبع دار القلم

دمشق. وكذا طبعة دار الكتب العلمية. بيروت، وهي بتحقيق علي محمد عوض، وآخرين، الطبعة الأولىٰ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٩. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني. د. حسام النعيمي. دار الرشيد للنشر. وزارة الإعلام والثقافة. الجمهورية العراقية. ١٩٨٠م.

٢٠. رسالة في حكم القراءة بالقراءات الشواذ لـ يوسف أفندي زادة (ت٨٥٧هـ)، تحقيق جمال الدين محمد شرف ط١ ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. الصحابة للدراسات القرآنية والعربية.

٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) دار إحياء التراث. بيروت.

٢٢. زاد المسير في علم التفسير. عبد الرحمن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ). المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.

٢٣. السبعة في القراءات أحمد بن موسىٰ بن العباس التميمي، أبو بكربن مجاهد البغدادي (ت٣٢٤هـ)، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف. مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

٢٤. سر صناعة الأعراب لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ) دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، وأخرىٰ: حققها وعلق عليها أحمد فريد أحمد، قدم له د. فتحي عبد الرحمن حجازي. المكتبة التوفيقية.

٢٥. شرح الجعبري علىٰ متن الشاطبية المسمىٰ كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني، تحقيق. فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ الطبعة الأولىٰ سنة ٢٠١١م.

٢٦. شرح الشافية لرضي الدين الاسترابادي (ت٧١٥هـ)، تحقيق. محمد نور الحسن ورفيقيه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م.

٢٧. شرح الكافية للرضي محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٨هـ) طبعة غير محققة وأخرىٰ: تحقيق يوسف حسن عمر. منشورات جامعة قاريونس ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٢٨. شرح المفصل للعلامة موفق الدين بن يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) توزيع مكتبة المتنبي. القاهرة (د.ت).

٢٩. شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي عبد الله بن بَرِّىٰ (ت٥٨٢هـ) تقديم وتحقيق د. عيد مصطفىٰ درويش، مراجعة د. محمد مهدي علام، مجمع اللغة العربية. القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٠. شرح طيبة النشر في القراءات العشر لأبي القاسم النويري. تحقيق وتعليق عبد الفتاح السيد سليمان أبو سنة. مجمع البحوث الإسلامية. القاهرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣١. شواذ القراءات للإمام الشيخ رضيّ الدين شمس القراء أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني (ت٥٣٥هـ) تحقيق د. شمران العَجلي مؤسسة البلاغ بيروت لبنان. (د.ت).

٣٢. ظواهر لغوية في القراءات القرآنية، غانم قدوري الحمد. دار عمار. الأردن. الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٣٣. غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج برجستراسر.
٣٤. فهرس القراءات الشاذة في كتاب غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري. بحث نشر بمجلة الدراسات اللغوية، لعبد العزيز بن حميد الجهني. إصدار مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الثاني، ربيع الآخر – جمادىٰ الآخرة ١٤٢٨هـ.
٣٥. في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس. الطبعة السادسة. مكتبة الأنجلو المصرية.
٣٦. في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط. الثامنة ١٩٩٢م.
٣٧. القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية، حمدي سلطان حسن أحمد العدوي الطبعة الأولىٰ ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، دار الصحابة للتراث بطنطا.
٣٨. القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي محمود أحمد الصغير دار الفكر دمشق، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٣٩. القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، عبد الهادي الفضلي، الطبعة الأولىٰ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. دار المجمع العلمي بجدة.
٤٠. القراءات القرآنية في البحر المحيط د. محمد أحمد خاطر مكتبة نِزار مصطفىٰ الباز– السعودية الطبعة الثانية١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤١. القراءات القرآنية وتوجيهها من لغة العرب. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٤٢. الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها لأبي القاسم يوسف بن علي بن محمد المغربي (ت٤٦٥هـ) تحقيق وتعليق الشيخ جمال بن السيد رفاعي الشايب، مؤسسة سما للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٤٣. الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار: أبو بكر أحمد بن إدريس (ق٤هـ)، تحقيق عبد العزيز بن حميد الجهني مكتبة الرشد، الطبعة الأولىٰ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٤٤. كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر تحقيق وشرح أ. عبد السلام هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٤٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت ٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الرازق المهدي، دار الإحياء التراث، بيروت.

٤٦. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها للإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق د. محي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤٧. الكشف والبيان في تفسير القرآن (المعروف بتفسير الثعلبي) لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٢٤٧هـ) تحقيق الشيخ

سيد كروي حسن. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت.

٤٨. اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٤٩. اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتًا وبنية، صالحة راشد غنيم، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الاولىٰ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥٠. لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي، دار الحديث للطباعة، بغداد. د.ت

٥١. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق علي النجدي ناصف، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي. المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف. القاهرة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت ٥٤٦هـ تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م بيروت لبنان.

٥٣. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤٢١هـ.

٥٤. مقدمات في علم القراءات مقدمات في علم القراءات محمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور. عمان دار عمار ط١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٥٥. منجد المقرئين لأبي الخير محمد بن محمد الجزري طبع دار زاهد القدسي القاهرة.

٥٦. النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ). دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. وطبعة أخرى: النشر لأبي الخير شمس الدين محمد بن الجزري تحقيق علي محمد الضباع المطبعة التجارية الكبرى.